العربية العالمية وقضية الكتاب العربي

بقلم عجاج نويهض

* * *

المسافة ليست بعيدة بين قولي « العربية العالمية » وبين الكتاب العربي الذي اعتقد هو السلم الذي بصعود درجاته تصبح العربية من اللغات الكبرى الشاغلة للاجواء العالمية الحضارية باوسع المعاني .

أخذت العربية تتبوأ مقعدها في « منظمة اليونسكو » ومعظم الفضل في هذا يعود الى الدكتور فؤاد صروف ، لسان العرب العلمي في هذا العصر ، وهو الذي اذا ربطنا بين شخصيته العلمية ، وتراث سلفه الاكرمين ، ولا سيما الدكتور يعقوب صروف ، فاننا نجد في هذه الاسرة من اول عهد مجلة « المقتطف » الجبار الى اليوم ، قرنا تقريبا من الاضواء العلميـة تنتشر لا في العالم العربي وحده ، بل في العالم الاسلامي ايضا بحكم قوله تعالى « انا انزلناه قرآنا عربيا » ، فاللغات القومية في البلدان الاسلامية غير العربية ، ليست بحاجز دون انتشار العربية من جهة الاسلام وشريعته ، في رقاع العالم الاسلامي غير العربي اللسان ، وفي اسيا وافريقيا والمهاجر ، حيث الملايين من العرب .

وهذا النبأ الخطير الذي اذاعته وكالات الانباء العالمية ، ونشرته الصحف في كانون الاول الماضي ، يتعلق باقرار العربية لغة رسمية في الامم المتحدة ، يسجل للعربية لا درجة واحدة ، بل درجات في صعود السلم .

وجاء في النبأ نفسه ان هذه الخطوة تكلف اكثر من ثمانية ملايين دولار تعهدت الدول العربية الاعضاء في منظمة الامم المتحدة بدفعها سنويا . وفي هذا المجال لا يهمنا ارقام التكاليف مهما تبلغ ، فان للعربية كرامة غالية على العرب والمسلمين ، والعلم والحضارة ، والعالم الاسلامي قطينه عدة مئات من ملايين البشر . وعما قريب سنتمكن ان نسمع على الراديو ساسة العرب وخطباءهم من على منابر هيئة الامم اسوة بالروسية والانكليزية والفرنسية والصينية . ان الحضارة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، او من منتصف القرن العشرين فصاعدا ، هي في سيرها وخطاها ، وعواملها ومهاميزها ، غير الحضارة التي شهدها اول هذا القرن. وعلى الايجاز ، لا نعتقد ان هذه الحضارة بعد اليوم تستطيع ان تحيا حياة صحيحة دون اسهام العرب فيها اسهاما واسعا .

وليسمح لي القارىء اللبيب ، وقلبه ونبضه وحاسته السادسة نحو المستقبل ، ان نبشر انفسنا بأن اسرائيل هي بعد اليوم الى التواء لا الى استواء ، وهذا الشرق الاسيوي الافريقي ، اذا بقيت الشمس تدور مشرقا ومغربا ، فلن يختتم هذا القرن الا واهل آسيا وافريقيا هم القوة الكبرى في الارض ، ولهم السيطرة على كثير من شؤون العالم . ولا يعقل ان تظل الاوضاع العالمية ، والسيطرة النفوذية الصهيونية في اميركا ، على المنوال الحالي . الصهيونية صفقة خاسرة في النهاية . احببت اجمال هذه النقطة المهمة ، لكي لا يتوهم عربي بعد اليوم ان اسرائيل مضمونة سلامتها . ومن يدري ؟ فقد تكون الصهيونية نفسها هي السوس الخبيث الذي بدأ ينخر في عظام اميركا نخرا غايته جهنم .

مهمة الكتاب العربي ، امست منذ الحرب العالمية الثانية والى ما شاء الله ، « رسالة » كرسالات الفلاسفة الحكماء والمصلحين ورعاة الانسانية . والذي اعنيه من الكتاب العربي ، هو الباحث في الادب وعمرانه في المجتمع، واعني بالعمران الذي يقيمه الكتاب العربي في المجتمع العربي والاسلامي ، ان يسهل على الاذهان فهمه واستيعابه ، شرط ان يكون الكتاب هو بذاته مستوفيا حقه ، واهلا لان يكون صاحب هذه الرسالة الحدود السياسية بين الدول العربية في آسيا وافريقيا ، واعني بافريقيا المغرب كله ، الادنى والاوسط والاقصى ، واواسط افريقيا وشرقيها ، الحدود السياسية هذه لم تستطع بعد أن تفرق الثقافة العربية والتراث العربي، الى مناطق بحدود جغرافية على نحو ما فرقت الحدود السياسية ، وواضح لكل ذي بصيرة ان ميراث العرب الذي هو خلاصة القرون الاولى المزدهرة امويا وعباسيا ، هو ميراث يسبح حرا تحت السماء التي تظله في المشارق والمغارب ، لا يتقيد بأجوزة السفر » المبرقشة المستعملة عند الحدود . هذا الميراث يهزأ بهذه « الاجوزة السفرية » هذا الميراث هو في اليقظة اليوم ، وستظل يقظته الى مزيد حتى يتكامل في العالم الضادي (اي في كل اقليم خاضع لسيادة الحروف العربية) .

والكتاب الذي ينبغي ان يكون جديرا بان يكون في قافلة « الرسالة » الثقافية التراثية ، لا اخلقه انا ولا انت ، وانما يخلقه مؤلفه . والمؤلف الموفق المبارك الثمرات ، الذي يخدم كتابه انبل الموضوعات ، ويحقق ما يستطيع في اشرف الغايات ، في المجتمع الادبي العربي ، هو الموصل بين حاضر ادبنا ، وبين مستقبله القريب اذ يغدو في المضامير العالمية ، وتغدو العربية ــ اذا بقي العالم سليما واستطاع ان يشفى من الخراب ، ومعافى من الادران الصهيونية ــ من الالسنة الخمسة او الستة او السبعة الرسمية في هيئة الامم .

ونعلم ان دولة الكتاب العربي لا « جمارك » فيها . فهي تنبت نبات الاعشاب ، يحيا ما يحيا منها ، ويموت ما يموت ، وازدهار الادب العربي انما يقيم على نسبة ما له من قوة تثقيفية في صقل الاذهان وتغذيتها باللغة العربية وآدابها ، واما اهم عامل في هذا ، فهو الكتب التي تقدم الى القارىء المسائل والقضايا والامور ، تقديما اسهل ما يمكن ، طريقة واسلوبا ، ونهجا وعرضا ،

والمنطق السليم يخالط كل هذا ويمازجه . فقد نجد في الادب العربي المعاصر لا عشرات الكتب ، بل فوق العشرات ، وهي الكتب التي عالجت قضايا الادب العربي منذ سنة ١٩٢٠ حتى يومنا هذا . واني اخشى ، ونحن في الثلث الاخير من القرن العشرين ، وقد تغير كثير من شكل المجتمع الانساني على ما نرى ونشاهد كل يوم ، واصبح محتما علينا ان نستغل ميراثنا استغلالا مساعدا لنا في الاسهام الحضاري العالمي ، اخشى ان يطغى على ادبنا المعاصر الحي النامي ، من الكتب المعقدة في اساليبها ، المتطوحة في آرائها ومراميها ، ما يعقد تركيب الادب العربي ، على غرار ما ابتلي به النحو العربي قبل قرون من تحويله الى « صناعة » تدريس مقمطة بالاربطة، وهو بالاصل قواعد طبيعية سهلة ، كل قاعدة ومنطقها الطبيعي الواضح يرافقها . فالكتب التي تبحث في آداب العربية يجب ان يطرح سقيمها ، وان تعنى المعاهد وارباب المسؤولية المختصة في الدول العربية ، بالكتب الصحيحة التي تمتاز بخدمة قضايا الادب ، امتيازا ينجي هذا الادب مما اصيب به النحو على يد من حولوه الى « صناعة » لكسب العيش الدنيوي .

اتيت بكل هذا لاقول بعده اني اضرب مثلا لما اريد في كتابين فريدين في بابهما هما :

« قضايا الفكر في الادب المعاصر » للاستاذ وديع فلسطين وصدر في القاهرة سنة ١٩٥٩ .

و « فن الترجمة في الادب العربي » للاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وصدر في القاهرة سنة ١٩٦٦ .

والكتابان كلاهما من الحجم الصغير : « قضايا الفكر » في نحو من ١٣٠ صفحة ويقرأ قراءة استيعاب في ليلتين ، وفن الترجمة في ٢٤٠ صفحة ويقرأ بتمعن وتدبر في ثلاث ليال او اربع ، وهذا التحديد بالليالي على اعتبار ان المطالع متوجه بنيته وعزمه الى المطالعة ، مع اخذ الملاحظات التي تعن له ليتمكن من المعادلة والترجيح بعدئذ . ولا احجب عن القارىء شيئا مما وقع في نفسي من امر هذين الكتابين . والقارىء يعلم جيدا ان هذين المؤلفين كلاهما علم في راسه نار ، في دولة العلم والفضل والادب ، والعلو في منزلة الاحاطة والنخل والتعمق ، وهما من الاقطاب في مصر ، والعالم العربي القارىء يتطلع الى هذين الاستاذين باكبار كما يتطلع الى اقبالهما من اهل الفضل في مصر وفي كل حاضرة من حواضر العالم العربي المستيقظ ولله الحمد .

والآن ، « قضايا الفكر » :

قرأته ثلاث قراءات ملية . وما رأيت المؤلف الفاضل الا كالنطاسي البارع في تشخيص العلة ووصف الدواء لها . فهو يوجز عناصر المسألة ، وما رات من عوارض ، وتسلط عليها من راي في اثناء مراحلها ، ويدلك على الاطباء الذين عالجوا المسألة ، فتعلم مما يعطيك ، الطبيب المنحرف من الطبيب النطاسي . ويهمنا النطاسي اولا وآخرا .

ولكن من حقك ان تسألني ما هي هذه القضايا ؟ واجيب بأني انقل اليك ما يصف اجواءها من كلام المؤلف ثم ابين لك عنواناتها . فقال في اول التوطئة لكتابه : « حديث الادب حديث شهي ، وان خاض فيه المرء معارك ومعامع ، ولكنها بحمد الله معارك سليمة العاقبة ، تفضي في ختام الامر الى نفع الادب ودفعه . ومعارك الراي لا تعرف مصارع الرجال ، ولكنها تشهد مصارع الدعاوي المنحرفة ايا كان سبيلها الى العقول ، لان العملة الجيدة لن تلبث حتى تطرد العملة الرديئة من التداول ، ولان الذوق مهما تدنى لا بد ان ينصلح امره ويسترد وضعه السوي .

وقد اثيرت في الاوان الاخير منازعة ادبية شتى انقسم فيها الكتاب الى شيع واحزاب ، وانتقلت حلبات النقاش من صفحات الصحف الى ندوات الادب الى موجات الاثير الى معاهد العلم العليا الى المنابر العامة ، ولم يعد نطاق هاته المعارك مقتصرا على حيز ضيق مكتنز، بل تردد صداها وامتد اوارها الى الاقطار العربية جمعاء والى المهاجر في العالم الجديد . ولا غرو ، فالادب وشيجة وتقى ، والادباء ابناء عمومة وخؤولة ، فان اصاب هذه الاسرة او فرعا من دوحتها اذى ، تداعت له الافئدة الجوانح في ارجاء المسكونة العربية في المشرق وفي المغرب على حد سواء » .

فكأن المؤلف غربل هذه القضايا التي يهم امرها كل عربي حي ، يعمل في ادب العرب ، ثم لخصها المؤلف لك واطلعك على صفوة ما قيل فيها واشار في النهاية الى ما يراه من الحكم او الراي في كل واحدة . وهذه القضايا هي :

العامية والفصحى ــ الشعر الحر والشعر الموزون ــ المصطلحات العلمية ــ قواعد اللغة العربية ــ ازمة الهجاء ــ ازمة الطباعة ــ الحروف اللاتينية ــ الالتزام في الادب ــ الادب الواقعي ــ الابانة والرمز ــ اسلوب الاثارة والمنهج العلمي ــ كاتب الامس وكاتب اليوم ــ انحراف رسالة النقد ــ مكان المسرحية خال ــ الترجمة الى الضاد ــ ازمة الكتاب العربي ــ اهناك محنة ادبية ؟ ــ الفكر بين الارستقراطية والفوغائية .

وهذه سبع عشرة قضية ، هي مدار النقاش ، وموضوعاتها اتخذت اشكالها الجديدة او المتجددة في الخمسين سنة الاخيرة ، اي منذ اخذت الامة العربية تواجه الحياة الجديدة بعد الحرب العالمية الاولى . ومن هذه القضايا ما هو قديم ومنها ما هو حادث لان اللغة جسم حي جوهرها ثابت لا يتبدل وانما تتبدل صيغ الكلام احيانا للتعبير عن معان مستحدثة طارئة . ولا اكون مجاوزا الحدود المعقولة اذا قلت ، ان الاستاذ وديع فلسطين بغربلته هذه القضايا ، وكل قضية منها جد مهمة ، قد جمع صور هذه القضايا بايجاز محكم ، وهذا الكتاب الذي يطالع في ليلتين ، يغني عن الكتب العديدة الاخرى المتعلقة بهذه الموضوعات والتي في نظري تفتقر الى

الشمول الموضوعي والاحاطة ولو كان الكتاب العربي ميسر الطريق والتوزيع الى البلاد العربية مشرقا ومغربا، وله الاوضاع التي تروجه في آفاقنا العربية . بتدبير راسخ من الدول العربية او الجامعة . لكان كتاب « قضايا الفكر في الادب المعاصر » حريا بان يطبع منه عشرات الآلاف ويكون في متناول الناس . اقرأ « قضايا الفكر » للاستاذ وديع فلسطين الناقد الخبير المحصن ، وقراءة هذا الكتاب اليوم ، واجب يحتمه العصر الادبي الحاضر . ونرجو ان تحال مشكلة طبع الكتاب العربي وتيسير توزيعه ، في مستقبل قريب ان شاء الله .

اما كتاب « فن الترجمة في الادب العربي » للاستاذ محمد عبد الغني حسن الموسوعي ـ الذي خبرته في الدقائق واسلاكها ، وفي جلاء الحقائق وحسن عرضها ، خبرة مزيدة ـ فهو كتاب قيم جعل الطواف حول فن الترجمة ينتهي عنده . هو قافلة متصلة الحلقات، ويعطيك لباب ما قيل من قبل في الباب ثم يضع امامك النهاية او النهايات المجلوة على اطباق من ذهب . وفن الترجمة قديم قدم الحضارة العربية الاسلامية ، والصفة البارزة في هذا الكتاب ، ولمؤلفه الصدارة في الشعر النقي المختار، المتردد الصدى في العالم العربي اليوم ، انه يجعلك على بينة من الموضوع الجاري بحثه بين يديك ، ملاحظا النقاط والخيوط ، والجدد والمنحنيات ، من المنبع الى المصب ، فلا تقع عينك على فرع الا وانت عالم بجذوره ، ولا يضع امامك حكما او نهاية في قضية او مسألة ، الا بعد ان جمع مختلف ما نزل الى السوق من اقوال ، قديمة او حديثة ، فقوة انسياب المؤلف في زوايا البحث والتدقيق ، والترجيح والمعادلة ، قوة عجيبة ، متسربلة بالبرهان والمنطق .

والمؤلف الاديب الشاعر ، يعالج موضوعا رفيع الخيوط ، وهو النقل من اللغات الاجنبية الى العربية ، والمؤلف نفسه من الرواد في النقل والترجمة ، فعلاجه لنقاط الموضوعات علاج من عانى هذا الفن ومارسه ، واطلع على طبائعه واساليبه قديما وحديثا . وفي المقدمة الجميلة لكتابه ، اتاك بلمحات من آراء المتقدمين الاعلام الى المتأخرين المعاصرين في الترجمة والنقد . من الجاحظ في اشاراته الواردة في كتابه العظيم « الحيوان » ، الى صلاح الدين الصفدي ـ الاديب المؤرخ ـ ونقلها عنه « العاملي » صاحب « الكشكول » الى اشارة الاستاذ احمد حسن الزيات في مقدمة كتابه « ضوء القمر وقصص اخرى » ، الى مقال للدكتور يعقوب صروف في « المقتطف » ، الى مقال آخر للاستاذ انيس الخوري المقدسي في « المقتطف » ايضا ، الى الفصل الذي ورد في كتاب « قضايا الفكر » للاستاذ وديع فلسطين وعنوانه « الترجمة الى الضاد » الى مقالات وفصول اخرى للاساتذة علي ادهم ، ورضوان ابراهيم ، وعباس محمود العقاد ، ووديع فلسطين ، والدكتور عبد الحميد يونس ، في مجلات « قافلة الزيت » ، والمجمع العلمي العربي و « الرسالة » .

وكتاب « فن الترجمة » هو في بابه الغاية والنهاية ، وكما ان « قضايا الفكر » للاستاذ وديع فلسطين هي جماع ما هو قائم من المسائل في عالم ادبنا المعاصر ، كذلك « فن الترجمة » للاستاذ محمد عبد الغني حسن ، فانك بعد ان تطالعه وتبتهج به كله ، توقن ان هذا هو الموضوع فمن العبث ان ترحل الى غيره .

ولعلي اذا سردت للقارىء معظم عناوين الفصول ، كما فعلت في « قضايا الفكر » ، اكون قد وضعت الهيكل العام للكتاب ، ولا سيما ان هذه العناوين بارعة التركيب كما يلحظ المطالع هذا :

بين الترجمة والتعريب ـ مذهب الترجمة بين الدكتور يعقوب صروف والزيات ـ فن الترجمة بين الجاحظ والمقدسي ـ شروط الترجمة عند المعاصرين والمحدثين ـ الترجمة بين الاغراب في اللفظ والوضوح ـ الترجمة بين الزيادة على النص والحذف منه ـ ترجمة الشعر ـ ترجمة الكتب المقدسة ـ ترجمة القرآن الكريم وترجمته في كثير من اللغات ـ تعريب الاعلام الاجنبية وكتابتها بحروف عربية ـ نماذج من ترجمات رباعيات الخيام .

والامثلة والنماذج غزيرة لذيذة طريفة ، والاشباع في كل بحث في الكتاب ، اشباع كله متعة ، يشعرك وانت الطالع بدقة الموازين عند المؤلف واتساع احاطته .

ونعود الى نقطة « الكتاب العربي » ومشكلاته ، مما اجملنا القول فيه ، فنقول ان جامعة الدول العربية حرية بان تضطلع بعبء التصدي الفعلي لقضية الكتاب ، ابتغاء وضعها على طريق مفضية الى الحل العملي الذي روعيت فيه اعتبارات تتعلق بمصير الامة العربية . هذا المصير الذي يجب علينا ان نزنه وزنا جديدا ، بعد حرب رمضان ، يحتم علينا ان يعرف انه مصير من جوانبه الخطيرة الميراث الثقافي ، التراث ، تهيئة العربية لتسير في الموكب العالمي العالي ، وفك اسر الكتاب واطلاقه في الآفاق .

واننا سنبتهج كثيرا غدا عندما نسمع العربية ام اللغات من على منابر هيئة الامم . ولكن هناك ناحية دقيقة حساسة لا نتردد في التلميح اليها ، وهي ان تنتبه الدول العربية الى ان اعتلاء تلك المنابر للكلام بالعربية ، هو غيره عندنا هنا في مواطننا ومؤتمراتنا وبرلماناتنا ، ففي ظاهر الحال ان التكلم بالعربية في هيئة الامم امر سهل ميسور لان هذه لغتنا الام . غير ان النقص في معظم الممثلين العرب والوفود والبعثات العربية الدبلوماسية من جهة الطاقات الادبية العربية ، شيء واضح نعرفه مما نراه هنا في اوطاننا . واني على شبه ثقة ان هذه الناحية لن تغيب عن اذهان المسؤولين في الدول العربية ، والله من وراء القصد .

راس المتن ـ لبنان **عجاج نويهض**

عبد الحميد جودة السحار

لقد هزني خطب (عبد الحميد) ... فادركت كيف الرواسي تميـد
أتانـي النعي بـه في الصباح ... فصيرني ذاهلا كالشريد
أتلك النضارة رهن الذبول ... وهذا المراح رهين القيود
وهذا الذكاء غدا للبلى ... وتلك (١) الجذا اصبحت للخمود
وتلك الملامح من عبقر ... يجر عليهن ذيل الهمود
وذاك الحديث الشهي الطلي ... يعود بآذاننا لا يعود
وبسمتك الحلوة المشتهاة ... تصير اكتئابا ببعض اللحود
ونكتتك العذبة المنتقاة ... يكف نداها فليست تجود
لك الله من رائح كالربيع ... وشيكا ، ومن ذاهب كالورود

أيا مبدع القصص الخالدات ... وناسجها مثل وشي البرود
تصورها من قطاع الحياة ... وتأخذها من صميم الوجود
وتخطفها من تخطى الفنا ... وتقطفها من تثني القدود
وترسلها ملء سمع الزمان ... فتصبي الوليدة قبل الوليد
وتصغي السهول الى سردها ... وتشتاق بيد اليها ، وبيد

ولست بناسيك في (سيرة (٢)) ... توخيت فيها البيان الرشيد
وصفت النبي واصحابه ... واظهرت فيها مقام الشهيد
واخرجت من غزوات النبي ... دروسا الى القارىء المستفيد
عرضت الصحابة في معرض ... يعز ، وفي موكب لا يبيد
وجليتهم واحدا ، واحدا ... وجمعتهم كالجمان النضيد
مواكب من مجدنا في القديم ... تشير الى مجدنا في الجديد

ولست بناسيك في (غزة) ... ونحن عليها قيام قعود
ذهبنا اليها على موعد (٣) ... تضج الحشود بها والبنود
تقابلنا كل بيارة ... باحلى بيان ، واغلى نشيد
ليالي ما جاس فيها العدو ... وأيام ما عاث فيها اليهود
وأنت تسامرنا بالطريف ... وتمتعنا بالحديث التليد
وللبحر من حولنا وشوشات ... وللجو من جانبينا رعود
اذا ما انحدرنا الى وهدة ... سمونا الى ربوة في صعود
كانا من النصر في موكب ... ومن فرحة الملتقى يوم عيد
أخي ! بيننا لا ركاب تؤوب ... ولا راحل يا صديقي يعود
وقد قطع الموت ما بيننا ... وما بيننا غير ذكرى العهود
عليك السلام الى موعد ... تساق وتحشر فيه الوفود

(١) الجذاء بالضم جمع جذوة (٢) كتب الفقيد بضعة عشر كتابا في سيرة محمد وصحبه
(٣) هي رحلة نظمها اتحاد كتاب فلسطين قبل عدوان سنة ١٩٦٧ بأشهر .

القاهرة ... محمد عبد الغني حسن

ملامح حديثة في شعر قديم

بقلم روز غريب

* * *

يعد الشعر الغنائي الجيد اصفى انواع الشعر لانه اقربها الى ذاتية الشاعر واكثرها تعبيرا من سوانحه الملهمة ومشاعره الحرة الحميمة. هذا بخلاف الشعر التمثيلي والشعر القصصي اللذين يفرضان على الشاعر التزام الموضوعية ويحتمان عليه الاتجاه الفكري او الفلسفي ويقيدان انتاجه بالفائدة الاجتماعية والرسالة القومية او الانسانية.

وقد احتقر اليونان الشعر الغنائي لفرديته وحريته، وفضلوا عليه شعر الملاحم والشعر التمثيلي لانهم كانوا شعبا ذوي اتجاه عقلاني، خاضعين لفلسفة افلاطون وارسطو التي ربطت الفن بالاخلاق وقرنت الجمال بالفضيلة والصلاح فلم تر قيمة للجمال المطلق، العاري من الفائدة الاجتماعية والعظة الخلقية.

ان المقارنة بين شعر العرب وشعر اليونان ترينا ان الاولين – اعني العرب – لم يفصلوا بين الانواع الشعرية كما فعل اليونان. فقصائدهم تحتوي اجزاء قصصية كما في الملاحم، ولوحات تصويرية وصفية كما في الشعر القصصي ومقطوعات حوارية كما في المسرحيات، وفترات جدلية برهانية كما في الخطبة، وابياتا حكمية اجتماعية كما في الشعر التعليمي. لكن هذه الانواع تؤلف عندهم كلا واحدا هو الشعر. وفي جمع الدواوين ميزوا بين الاغراض كالفخر والمدح والحماسة والهجاء والوصف والغزل. وفي الاسلوب ميزوا بين القصيدة والارجوزة والموشح لكنهم لم يعرفوا نظرية الفصل بين الانواع لانهم جهلوا المسرح والملحمة.

شعرهم صورة امينة لحياتهم لانه كان الوسيلة الكبرى للتعبير عن نفوسهم. حلقوا في الشعر الغنائي الحافل بالشكوى والعتاب والالم والفرح وسائر وجوه الانفعال. وغلب على شعرهم النفس الخطابي لانه كان ينشد في المحافل وفي مواقف الحماسة والفخر والدفاع والمدح والهجاء. والشاعر لم يكن شاعر ذاته فحسب بل ايضا شاعر الجماعة والقبيلة، يتكلم بلسانها ويجسد مطامحها، يدافع عن نفسه ازاءها ويدافع عنها ازاء الآخرين.

امتياز امرىء القيس: يكاد يكون شعر هذا الشاعر غنائيا صرفا، يتخذه مصرفا لشعوره وتبرز شخصيته في كل سطر من سطوره، فلا مدح ولا حكم الا ما جاء عفوا في سياق الكلام. اذا روى فانما يروي مغامراته، واذا وصف فجواده وناقته وصيده محور الوصف. ومن موضوعات وصفه ايضا صويحباته وعشيقاته، ومشاعره وتصوراته امام مظاهر الطبيعة ومدهشاتها.

اشهر قصائده المعلقة التي تنفرد بميزات تصح مقارنتها بميزات الشعر الحديث وعليها يدور البحث في هذا المقال. واقصد هنا بالشعر الحديث هذا الشعر الذي انتجته حركة التحرر الغربية ابتداء بالرومنطيقية وامتدادا الى الرمزية وما اليها، وتميز بالثورة الشاملة على المقاييس الكلاسيكية من فلسفية، خلقية، لغوية، عروضية وجمالية. يتفاوت فيه مقدار التحرر فهو حينا معتدل لا يقطع الصلة بالقديم، كما نرى في الرومنطيقية والرمزية، وحينا آخر عارم متطرف كما في السوريالية وما جرى مجراها.

ولا يخفى انه كان لحركة التحرر الغربية تأثير في شعرنا لم يسلم منه اكثره علوقا بالقديم. تأثر المخضرمون في اواخر القرن التاسع عشر، نظير شوقي ومطران، ثم جماعة ابولو وشعراء المهجر في اوائل هذا القرن. وشعراء لبنان المقيم في الحقبة نفسها وشعراء العراق المعاصرون الذين وثب الشعر على ايديهم وثبة جديدة ترددت اصداؤها في جميع الاقطار العربية.

لا يتسع هنا المجال لبسط التطورات التي ميزت الشعر الحديث لكن الاشارة الى ما تتضمنه منها معلقة امرىء القيس لا بد ان يلقي ضوءا على اهمها.

الموضوع: المعلقة من حيث الموضوع قصيدة ذكرى، نظير قصائد الذكريات التي شاعت عند الرومنطيقيين. لكنها لا تتركز على ذكرى واحدة كما في «بحيرة لامرتين» ولا تتضمن مثلها معاني فلسفية. بل هي معرض ذكريات تطوف برأس الشاعر الواقف على اطلال احبائه الذين رحلوا.

ونضيف هنا ان الاطلال او الاماكن الخربة كانت هي ايضا من الموضوعات الحبيبة الى الرومنطيقيين لقدرتها على اثارة العاطفة والخيال.

المعاني والصور: هذا من ناحية الموضوع. اما المعاني فيشوبها مسحة من الكآبة الرومنطيقية اذ تتردد فيها صور البكاء والشكوى من صدود الحبيبة ومن طول الليل وثقله. وتنتاب صاحبها الانفعالات المختلفة فتذكي خياله وترهف احساسه. يتخيل صاحبين يخاطبهما ويستأنس بهما في وحشة الاطلال ويدعوهما الى مشاركته في الالم والبكاء. فيحاولان مواساته بقولهما: «لا تهلك أسى وتجمل». لكن صاحبنا يسترسل في البكاء حتى يخيل له ان دمعه فاض وبل محمله. ثم تساوره الذكريات العذبة مع ام الحويرث وام الرباب والعذارى اللواتي نحر لهن ناقته في دارة جلجل. ويطيل في حديث

عنيزة وحوار فاطمة واستعطافها . وكما تزدحم الصور في الشعر الحديث فتؤلف احدى ميزاته البارزة كذلك تزدحم عند امرىء القيس الصور الطريفة وتتراكم في وصف المراة التي اقتحم لاجلها حراسا واعداء اضمروا له القتل . فهي بيضة خدر ، هضيم الكسح ، ربا المخلخل، ترائبها كالسجنجل وشعرها كقنو النخلة المتعثكل . تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة راهب متبتل .

الاغراب التصويري : ويمعن في الاغراب التصويري حين يصف الليل والجواد والسيل . فالليل يلفه كموج البحر ، يرخي سدوله كخيمة ، يتمطى كحيوان فيطول صدره وتترادف اعجازه . ثم نراه يقطع واديا كجوف العير . اما جواده فينقض كجلمود صخر حطه السيل من عل ، يدور كخذروف الوليد ، يعدو كذئب وظهره مثل حجر يسحق عليه الطيب . وحين ينتقل الشاعر الى البرق والمطر تسيطر عليه الدهشة من وميض البرق كلمع اليدين ومن دوح الكنهبل وقد كبه السيل على اذقانه فكل دوحة مجندلة اشبه بجبار صريع . وتستوقفنا تشابيهه الغريبة حين يقول ان جبل ثبير يشبه « كبير اناس في بجاد مزمل » اي كساء ملفف . وذرى راس المجيمر (جبل آخر من نجد) شبيهة بفلكة مغزل (والفلكة هنة مستديرة في اعلى المغزل) وزخارف النبات والزهر التي يحدثها المطر شبيهة بما يعرضه التاجر اليماني من بضائع ساحرة الالوان . ثم يشبه الطيور التي تصيح صباحا بسكارى ذوي مرح اما السباع والوحوش التي اغرقها السيل فتعوم مثل جذور البصل البري ! ويضيف الشارح : « لانها كجذور البصل ملطخة بالطين » .

صور غير موحية : يكثر في المعلقة التشبيه الذي اعجب به القدماء وعدوه من عمود الشعر . ففيها ما يزيد على ثلاثين تشبيها اما الاستعارات والكنايات فلا تجاوز العشر ، منها كنايته عن المراة ب « بيضة خدر » وعن ترفها واقتنائها للخدم بقوله :

نؤوم الضحى لن تنتطق عن تفضل

ومعنى هذا انها لا تنهض باكرا للعمل ولا تشد وسطها بنطاق استعدادا للشغل .

وفي راي الحديثين ان الاستعارة والكناية اشد ايحاء من التشبيه لما فيهما من ايجز ومبالغة واشارة .

صور امرىء القيس منوعة المصادر ، حضرية بدوية ، فلكية صحراوية ، تشير الى اماكن تنقله في ديار نجد ، تدل على افتنان وقوة تخيل وشدة احساس بالشكل والحركة واللون والرائحة والصوت ، كما تعبر بالتنوع والتضاد والايقاع والنشاط عن نفس مضطربة ، سريعة الانفعال والتوتر .

لكنها ضعيفة الايحاء ومعنى هذا انها لا تثير الفكر ولا تعطي معاني أبعد من المعاني الظاهرة ، فلا رموز فيها ولا اشارات بعيدة .

ان الشاعر الذي يقول : « حيثما يشحذ العرعر لهب ملحه الاسود ويحلم الانسان دونما حذر برفع حجر جديد » يعبر عن بيئة كد ونشاط ومغامرة بصور جزئية هي الشحذ واللهب والملح الاسود والحلم والحجر الجديد . اما صور امرىء القيس فلا تعبر الا عن معان ذاتية قريبة تكمن فيها مشاعر الكآبة والفخر والدهشة. ووسائل الايحاء عنده موسيقى اللفظ المؤتلفة مع المعنى وغرابة الصورة الدالة على شدة الانفعال . وتبرز هذه الميزة في البيت المشهور الذي يصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالالفاظ تنقل بايقاعها حركة الجواد وسرعته الفائقة كما تشتمل على سحر التضاد في الشطر الاول وروعة التشبيه ودقته في الشطر الثاني . لكنها لا توحي بمعان ضمنية سوى شعور الفخر والاعجاب .

التداعي اللامنطقي واهمال التصميم : اذا اخذنا بالنظرية القائلة ان الفن خلق وابتكار فهذه النظرية تفترض فيه الغلو ومجاوزة الواقع وابتداع الجديد والغريب اللامألوف . وقد سبقت الاشارة الى ان الاغراب التصويري من ميزات المعلقة كما هو من ميزات الشعر الحديث .

في نطاق هذه الظاهرة يدخل اهمال الشاعر للمنطق وانسنته للجماد وتشخيصه لما لا يعقل وامعانه في التخيل وعرض اللامعقول من الحوادث والصور .

ونحن لو ذكرنا روائع الادب العالمي وحاولنا الكشف عن اسرار تفوقها وجاذبيتها لتبين لنا انه في راس تلك الاسرار يجب ان نذكر ارتكازها على الغريب واللامعقول . فالياذة هوميروس تدهشنا بما فيها من احداث غريبة نظير صنع الحصان الخشبي الذي يتسع لايواء جيش من المحاربين ، ومطاردة آخيل لهكتور التي تدوم اربعين يوما . وفي حكايات الف ليلة وليلة يروقنا بنوع خاص ما فيها من خوارق وعجائب نظير رجوع الاحدب الى الحياة بعد سلسلة من الاحداث الغريبة التي مر بها . واخبار المارد والعفريت الذي يخرج من القمقم ، وبساط الريح والحصان الطائر وقبع الاخفاء والفانوس السحري وكنوز علي بابا .

وفي الشعر الجيد ، قديما كان ام حديثا ، تؤلف الاستعارة اهم مصادر فتنته . والاستعارة تقوم على احياء الجماد وتشخيص ما لا يعقل اي انها تعتمد على مخالفة المنطق وقبول اللامعقول .

في معلقة امرىء القيس تداعى الخواطر والصور تداعيا حرا يتفلت من رقابة المنطق ويراعي وثبات الخيال. فالليل عند الشاعر بحر متلاطم الامواج ثم خيمة منسدلة الستور ثم حيوان يستطيل ويتمطى ومع هذا يخاطبه صاحبنا كانسان فيقول له : « الا انجل بصبح ! » وفجأة يبدل رايه ويقول له : « ليس الاصباح بأفضل منك ! »

من هذا النوع استرساله في تعداد الاماكن : الدخول فحومل فتوضح فالمقراة ، مشيرا بذلك الى حالة ذهول وشرود وتلذذ عميق بذكر مرابع لهوه .

وكما تتفجر المعاني على غير نظام في كثير من الشعر الحديث كذلك في المعلقة نلاحظ غياب التصميم وتفجر المعاني تفجرا عفويا . فالشاعر ينتقل انتقالا مفاجئا من البكاء على الديار الى ذكر النساء ووصفهن وسرد اخباره معهن ، كذلك يفاجىء القارىء بوصف الليل والوادي والفرس الذي يربط وصفه بذكر الصيد . ومن غير تخلص او تمهيد يصف البرق وهجوم السيل وما يحدثه في جبال نجد واوديتها من احداث .

لعله يصح القول ان ظاهرة التفكك واهمال الربط المنطقي كثيرة الشيوع في الشعر العربي القديم لا سيما الجاهلي . تعد هذه الظاهرة في بعض الشعر الحديث دليل تحرر وانطلاق اما عند القدماء فكانت اسلوبا مألوفا لدى الشعراء قلدهم فيه الزجالون ومؤلفو الاغاني في عصور متأخرة . فانت لو راجعت ادوار اغنية شعبية مشهورة نظير « ابو الزلف » او « على دلعونة » لاحظت استقلالَ الادوار بعضها عن بعض وربما لمست التفكك حتى في سطور الدور الواحد .

لكن انعدام الصلة الظاهرة بين الموضوعات الفرعية **لا ينفي وجود الصلة الخفية .** فمعلقة امرىء القيس موحدة الجو والاسلوب ، موحدة النفس الشعري ، تبدو فيها شخصية الشاعر واضحة منسجمة . فهو انسان جياش العاطفة ، متوثب الخيال ، تهزه الذكرى فيحن ويبكي . تستوقفه مظاهر الطبيعة وعجائبها فيطرب ويتغنى بمحاسن فرسه ومفاتن البروق وروعة السيول . ويهيمن على شعره اجمالا شعور الفخر والرغبة في عرض العضلات . ولا ريب ان الفخر في الشعر الجاهلي يبدو طبيعيا عند الشعراء الفرسان الذين يؤلفون القسم الاكبر من شعراء ذاك العصر فمنهم المهلهل وعمرو بن كلثوم وامرؤ القيس وعنترة وطرفة . ومنهم الشعراء الصعاليك الذين احترفوا الفتك واللصوصية . وبما ان المتأخرين من الشعراء جروا على سنة القدماء نرى انهم استحسنوا تقليدهم في الفخر ولو لم يمارسوا الفروسية مثلهم . فنظم في الفخر شعراء نظير ابي تمام والبحتري والمتنبي والمعري وابن سناء الملك وصارت المفاخرة تقليدا عند العرب لانقسامهم قبائل وعشائر تتنافر وتتعادى وتتهاجى ، لا في الجاهلية فحسب ، بل في العصور الاسلامية وحتى في يومنا الحاضر .

الوان اخرى من التحرر : وهناك الوان اخرى من التحرر اللغوي والعروضي يشارك فيها امرؤ القيس غيره من شعراء الجاهلية . منها انتقاله العفوي من الماضي الى المضارع :

.... فقالت لك الويلات انك مرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معا ...

ومنها ، في البيتين الاولين من المعلقة ، حذف المبتدا الذي يخبر عنه بعبارة : « لم يعف رسمها » واهماله التوازن المنطقي في قوله :

فظل العذارى يرتمين بلحمها ‏ ‏ ‏ ‏ وشحم كهداب الدمقس المفتل

فقد وصف الشحم واهمل وصف اللحم .

وهناك ايضا التحرر العروضي في كثرة استعماله للزحاف .

والتحرر الخلقي في عدم تورعه من الفحش حين يروي حديث مغامراته مع النساء .

سحر الالفاظ وشاعريتها : ربما صحت المقارنة بين امرىء القيس والرمزيين في اعتماده الالفاظ التي تلفت النظر بسحرها وغرابتها . وهي صفة عامة في الشعر القديم الذي كان ينشد في المحافل وتتناقله الافواه فقد حتمت عليه ميزته الخطابية ان يتوكأ على الكلمة الساحرة والايقاع المثير . نذكر على سبيل المثل وصف امرىء القيس لجواده فالفاظه في جزالتها وروعتها تتقمص حركة الجواد كما تروع القارىء بطرافتها وشاعريتها .

شهرة المعلقة : اعجب القدماء اعجابا شديدا بهذه المعلقة واتخذوها مثلا في الشهرة فقالوا : « اشهر من قفا نبك » . ذكروا من محاسنها جودة المطلع وطرافة التشابيه واشتهر منها بنوع خاص البيت الذي يخاطب فيه الشاعر الليل :

الا ايها الليل الطويل الا انجل !

فرددته الافواه وادمج في قصائد المغنين .

ونضيف هنا الى ما ذكروا من محاسنها افتنان الشاعر في الاسلوب اذ يكثر من الحوار والنداء والهتاف . يحاور في المطلع صاحبين وهميين . يحاور فاطمة وغيرها من نساء المعلقة . ثم يحاور الليل والذئب ويحاور ذاته . وحين يصف البرق يخاطب شخصا وهميا بقوله : « أصاح ترى برقا ؟ اريك وميضه » .

ومن المعروف ان ادماج الحوار وصيغ النداء والهتاف مما يكسب العبارة حيوية وتنوعا .

وقد اثبت الباقلاني هذه المعلقة في كتابه « اعجاز القرآن » مقارنا بينها وبين الكتاب الكريم ليظهر انحطاط اسلوبها عن اسلوبه المعجز ، رغم اجماع الناس على استحسانها . وذكر من عيوبها الاسراف في تعداد اسماء الاماكن في البيتين الاولين ، اهمال الربط المنطقي ، الغلو ومجاوزة الواقع ، التحرر اللغوي والعروضي ومخالفة العرف والتقليد . وقد فات الباقلاني ان معظم العيوب التي اكتشفها تعد فضائل في مفهوم الشعر الحديث .

معلقة امرىء القيس من طبقة الشعر الصافي الذي ينبع من اغوار الذات ، واذا كان اختلاف البيئة والعصر يمنع ظهور شعر كشعر امرىء القيس في عصرنا فان فيه مبادىء ثابتة في كل عصر وبيئة ، منها ميل الشاعر الى التحرر واعتماده الطبيعة والالهام .

روز غريب

اصـــداء

اديـل الخشن

الشويفات ـ لبنان

المسافات ذراعاك
اختصرها وخذني اليك
يا حامل القناديل الراهجة
عبر اكوام الضباب .
غيابك محا اوسمة الضوء
وخنق الفرح المولود في شراييني .

انا حارسة الليالي التشرينية العاصفة
اشواقي تتناثر في جليد الوحدة
ودموع السماء تنهمر عطشا فوق نافذتي
عذابات بعدك تتكوم في قلبي
تزرع في عيني بيارق السهر .
فراغ الوديان يطفو فوق الدروب
وعيناي ترصدان وجهك المسافر
صرت الدوران الذي لا ينتهي
صرت الرياح تحمل انفراط الرمال .
وجهك يطوي الابعاد
وبسمتك الاستوائية
تسطع عبـر كل جدار
انـا مطوقة بـك
سجينـة احلامـك
تعال ، اقتحم علي منفاي .
اسمك ينمو على شفتي
يصير شجرة الكون
ينفتح مظلة حنان
تعال وتورق سكينة الضوء
باجنحة الفراش .

يا سيد الحب والفرح
جناح اللهفة يمتد فوق سريرك
وعلى وسادتك ، تستريح اهداب المواعيد
انا مملوءة بك وعيناي التفات نحو ضفاف الخليج
انقش في الدروب والوجوه وجهك
اراك وحدك الامس واليوم وغدا
كالارض تتشقق نفسي بانتظارك
وتتفتح لاستيعاب الفرح الآتي .

عد الي بجنون العواصف والاشواق
عد الي بفرح الشمس والاغاني .

حين تعود يصير الليل جديدا
وتتوهج النار في عروق الثواني
تلملم عيناي فرح الاعراس
وانسى حزني ،
حين يغيب سيد الهنيهات !

وازوجــاه . . . !

الدكتور محمد رجي البيومي

●

بعد ان كنت كـل شيء لديـا ... كيف باللــه تبعدين عليـا
كنت تشكين ان تغيبت وقتـا ... أفيغـدو فراقنـا أبديـا
ان تأخرت بعض يـوم تعجلت ... فارسلت مـن يخف اليـا
وتساءلت أيـن كنت ؟ بجـد ... يتراءى انفعالـه فـي المحيـا
وتلقيتني عـلى الباب حيرى ... كالتـي كابدت صراعا خفيـا
تضمرين العتاب صمتا حبيسا ... قـد تحققتـه فصـار دويـا
كنت ألقـاك بكـرة وعشيا ... أفيبقـى بعادنـا سرمديـا
أدخـل البيت لا أراك فأمنـى ... بوجـوم ، ولست انطق عيـا
واداري الاطفال باللثـم حبـا ... غير ان البكاء فـي ناظريـا
ثـم اضطر للطعـام ليمضي ... كـل شـيء بمنزلـي طبعيـا
حذرا ان اثـير لوعة حـزن ... يتناسى ، ولـم يكـن منسيا
وبحلقي مـن المـرارة مالـو ... صب شهـد عليه لم يفن شيا
برما بالحياة لـولا ارتباطـي ... بعيالي لقلت يـا موت هيـا
زاهـدا احسب النهار ظلامـا ... حيث كنت النهـار فـي عينيا
قـد فقدت الاحساس بالصبح ... والنور فويلي ، كأنني مت حيا
أمحق أنـا ؟ سالت ضميري ... فأراني صواب حزنـي جليـا
سلبتني الحيـاة بهجة أنسـي ... لم لا ازدري الحياة الدنيـا
امقت العيش حيث لا نفع فيه ... بعـد ان كنت كـل شيء لديا

قد تغربت لا لشيء سوى ان ... اقضي العمر في بلادي هنيـا
أجمع المـال كادحـا لتعيشي ... في حياة تـرف زهرا شذيـا
ولـك المطعم النظيف شهيـا ... ولـك المنـزل الرحيب عليـا
ولاولادنـا مـن الخصب والر ... فه حيـاة تفيض نـورا وريـا
انت انت التي دفعت الى هذا ... وشاركتيني المكـان القصيا
كـم تباطأت أستخف فأبديت ... جفـاء مرا وغيظا حميـا
ومددت الآمـال تبنين حلمـا ... ضاحك الوجه فاتنـا عبقريـا
وهتفت: الاطفال يبغون تامينا ... بدنيـا تعـج بؤسـا وغيـا
لـم لا ندفع الاعاصير عنهم ؟ ... اذ نقيم السياج صلبـا قويـا
ووراء الغيـوب صفحة هـول ... سطرت حكمها رهيبـا عتيـا
ما توقعت فـي شبابـك هذا ... أن تلاقـي محتومها المقضيـا
حسرتـاه ، والف واحسرتـاه ... حينمـا انهـد كل شيء عليـا

قد فقدت الطموح في الناس لا ... اطمح الا لان اعيش خليا
لا أحب الضجيج ، كل ضجيج ... يعقب الصمت نابيا معليا
أترك الناس في اختلاف الطرايا ... كل فرد بملبس يتزيى
يتباهون بالخلاف فلا تسمع ... الا رأيا يصادم رأيا
قد تعالت اخطاؤهم في صماخي ... فلزمت السكوت ، رعيا وبقيا
وارتضيت اعتزالهم ، وكأني ... باعتزالي جانبت خطبا فريا
لتعودت ان اسير مع الليل ... تعيسا ارعى همومي شقيا
اجتلي صفحة النجوم فأشجي ... ولئن ارسلت شعاعا بهيا
كوكب اثر كوكب يتهادى ... بعد ان امتع الوجود مليا
هكذا كنت انت كوكب أفق ... يرسل النور في حياتي سنيا
ثم حان الغروب شر غروب ... فجفا أفقه ، وخر هويا
أو آوي الى الظلام لانسى ... فأراه يهيج دائي العصيا

رأفة يا قضاء بي فلقد لا ... قيت ما يرهق الشجاع الفتيا
ذكرياتي تضلني عن صوابي ... حيث لا استبين نهجا رضيا
جل ما قد أراه اثناء سيري ... تبعث الميت الدفين فيحيا
كم طريق سعت به فأثارت ... لاعجاتي ، فما أطيق السعيا
كلما قد ذكرت فيه خطاها ... كوت القلب في الاضالع كيا
كم محل للمشترى انتحيه ... ذاكرا أمسها فاسقط وهيا
للضرورات وحدها صار مفدا ... ي ، لكيلا أذكي الاسى بيديا
ويح آثارها الحسان ببيتي ... اذ شوت روحي المعذب شيا
من عطور تريق دمعي ، وحلى ... وثياب بحصرها صرت أعيا
ولها صورة تحاشيت جهدي ... ان ارى وجهها صبيحا نديا
وشريط التسجيل اقصيه حتى ... لا يسيل استماعه جفنيا
بل وحتى الحذاء يأخذ مني ... مأخذ الحزن مهملا مقصيا
قد تبدلت غير سكناي حتى ... أسكت الذكريات عني مليا
فاذا الذكريات في داخل القلب ... فمهما ارتحلت ثارت فيا
منزلي غير منزل الامس لكن ... ما شفاني تبديله داخليا
ليس الا سنا محياك يجلو ... ظلمة البيت ، ما اعز المحيا

يا حياتي ، وما تعز حياتي ... لعروس أهدت شبابي اليا
أسفي ان اجيء مصر وحيدا ... حيث لا ننزل المطار سويا
ويخف الصحاب نحوي حيارى ... ويعزونني فاغضي شجيا
ويرين الهم الثقيل على ظهري ... ي فاسعى محدودبا محنيا
وتقول العيون عاد ولم تأ ... ت فاغضي محولا مقلتيا
ويصير اللقاء نعيا كأني ... لم أكابد يوم الوفاة النعيا
قدر الله ان اعود حزينا ... (انه كان وعده مأتيا)

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

شاعر الخليج ...

عندما بدأت نشر مقالات « حصاد السنين » في مجلة « الاديب » ببيروت .. وكان المقال الاول في شهر مارس ١٩٧١ .. تلقيت رسالة نشرتها المجلة ، من دبي بالخليج، بتوقيع الدكتور احمد امين المدني .. يذكر فيها ، في ادب جم ، انه اطلع على مقالي ، وانه ينبهني الى ان العنوان الذي اخترته لهذه السلسلة من المقالات وهو « حصاد السنين » .. هو عنوان لديوان شعره الاول الصادر في عام ١٩٦٨ في دبي .. ووعدني متلطفا باهدائي نسخة من هذا الديوان ..

وقد رددت عليه بالمراسلة يومئذ ، وعن طريق « الاديب » ايضا .. فشكرته على ملاحظته ، وذكرت له ان عزمي على كتابة هذه المقالات ، واختياري لعنوانها ، يرجع الى ما قبل عام ١٩٦٨ ، وان كلمة « الحصاد » شائعة ، وحضرني حينئذ اسم كتابين احدهما « حصاد الهشيم » للمازني .. والآخر ديوان « حصاد الذكريات » لشاعر حلب الفاضل الاستاذ عبد الله يوركي حلاق .. ثم ذكرت للصديق الذي كاتبني من دبي ، انني على شوق في انتظار نسخة ديوانه الموعودة ..

على انني في الواقع، لم اخف ما ساورني من العجب، ان يكون الاتفاق تاما ، وتوارد الخواطر كاملا .. في اختيار هذا العنوان المشترك ..

ومضت الشهور ، وانقضى عام ، وعامان .. حتى زارني اخيرا في مصر الجديدة ، طالب في كلية الشريعة بالازهر ، من اليمن الجنوبية ، يحمل الي ظرفا يحوي كتابين احدهما ديوان « حصاد السنين » الديوان الاول للشاعر احمد امين المدني الصادر عام ١٩٦٨ ، والثاني ديوانه الثاني « اشرعة وامواج » .. الذي اصدره خلال فترة انتظاري له ، عام ١٩٧٢ ..

وعندئذ حمدت الله على هذا التأخير ، الذي جعل الهدية مضاعفة ، والديوان الواحد ديوانين ..

ومن خلال الديوانين .. عرفت الشاعر اكثر ، عرفت انه من دبي ، وولد في ديرة ، وهي بلدة بها .. وانه اتم دراسته الاولية والثانوية ببغداد ، حيث تفتحت شاعريته الخصبة .. ثم سافر الى انجلترة ، فحصل على الدكتوراة في الآداب . وانه متمكن من آداب اللغتين الانجليزية والفرنسية ..

وقرات الديوان الاول « حصاد السنين » .. فاذا بي امام شاعر ، شاب ، ناضج ، متفتح، رقيق الاحساس، ملتهب الشعور ، متدفق بالمعاني والصور والاخيلة الجميلة .. وككل شاب وجدته يجنح الى التجديد .. والشعر المعتمد على الشطر الواحد ، دون الشطرين ..

ومن المقدمة الدارسة الواعية التي قدمها بين يدي شعره .. تبين لي انه متمكن من موضوعه ، وانه لا يهجم على الشعر الجديد ، هجوم المقلد او غير العارف .. ولكنه يبني تجديده على اساس قديم ، لا يختلف فيه كثيرا عما ابديته من آراء سابقة في هذا المجال .. ولم يغب عني لحظة انه متأثر اشد التأثر بنماذج من شعراء اوروبيين ، تأثرا مباشرا .. وذلك من حيث الشكل ، الذي يتحرر من قيود القصيدة العربية الملتزمة بقيود الشطرين ، والقافية الواحدة .. دون ان ينزل الى مستوى الركاكة والاسفاف الذي يصل اليه من لا يهتدي الى اصول يبني عليها ، او علم يهتدي به . على ان ديوانه لا يخلو من القصائد التقليدية .. ولكن روح الشاعر الاصيل ، ترفع هذا الشعر الى مستوى طيب ، وخصب ..

يقول الشاعر المدني في تقديم مجموعته الاولى :

عبق الحب .. في دمائي فجرا — فتغنيت من حنيني شعرا
ناشرا للجمال .. قلبا ابرا — عبر افق الخيال .. يخفق طهرا
من بريق النجوم .. يمتح نورا — ومن الغيم ذكريات وعطرا
يبعث الشوق دافئا ، والسرورا — ويثير الاسى .. عميقا ، مريرا

فمن حيث الشكل نجد تغييره القافية في الشطرين الاخيرين ، بمثابة اللحن الختامي المتميز الذي يقفل به دورا موسيقيا رائعا .. واما من حيث الموضوع فنجده يفصح لنا ان شعره هو عبق الحب ، يجري في دماء الشباب .. وحنين القلب يتدفق به الشعر غناء واناشيد وانه موكل بنشر الجمال ، وعبور آفاق الخيال .. في

طهر وبر .. حتى يبلغ النجوم فيمتح مـــن بريقها ، او الغيوم فينشق من عبيرها .. ولكنـــه في « تقفيلتـه » الختامية .. يظهرنا على انه يصل في النهاية الى احـد امرين .. فاما شوق دافيء وسرور غامر .. يبعثه فـي النفوس .. واما اسى عميق ، وشجن مرير .. يثير بـه المشاعر والاحاسيس ..

ولست اريد ان استشهد من هـــذه المجموعة بغير هذا « الاستهلال » .. اللهم الا بمقطوعتيه الاخيرتين في الديوان .. وقد خصهما بالذكر .. لانهما اقدم نظما مـن سائر قصائده .. ولانهما في نفس الوقت من هـذا الشعر **الجديد .. المتعارف عليه اخيرا .. وان كنت كما قلت لم اجد فيهما غضاضة ، لان روعة الباعث ، ورقة الخيال ، يغطيان على محاولة الخروج على قواعد السفر الاصيل ، دون داع يذكر ..**

والقصيدتان هما « اغنية لنفسي » .. و « اغنيـة لصديق قديم » :

يقول في الاولى :

سكون المدينة .. يسربل روحي الحزينة ..
وثلج الشتاء .. نهر حليب .. تجمد عبر المساء الغريب
برودته في دمائي .. ذكرى قديمه .. ليال عقيمه
تمر بنفسي .. رؤى مطفئات .. وفي صمت نفسي .. منى ميتات
ارفرقها في الاسى .. كلمات عن الموت عن غربتي في الحياة
عزاء لنفسي عبر المساء وادفنها في انتصار البقاء

وفي الثانية ـ وهي جميلة ـ يقول :

لأنا افترقنا مساء .. وكان المطر
يذرذر .. عبر رصيف القطار
ولم تبق الا ثواني .. ويمضي النهار
وتمضي .. وابقى حليف الضجر
وحيدا اصيخ لصوت المطر
حزين الصدى .. في اخضرار الشجر
صديقي ، لا شيء يبقى .. صديقي .. حتى المدينة ..
اراها تغيب بصمت عميق ..
وراء الضباب اراها طيوفا حزينة
وابصر ايامنا .. عجائز .. يحملن عبر جنينة
وابقى اعد .. انا والفجر
صدى عجلات القطار ... تنك ، تك .. وصوت المطر !

فاذا ما انتقلنا الى الديوان الثانـــي : « اشرعـــة وامواج » .. احسسنا في الحال مدى النقلة الكبيرة التي قمنا بها .. او التي قام بها الشاعر المدني .. آخذا بنـا معه .. والتي هيأته لها هذه السنوات الاربع ، الفارقـة بين ديوانيه .

انه يقدم لهـذا الديوان بكلمة قصيـرة .. ليست دراسة طويلة في هذه المرة .. ولكن جملة صغيرة مـرت بها ، اوقفتني عندها طويلا ، واظهرتني على مدى هـذه النقلة التي تحدثت عنها ، في عقـل الشاعر ، وفي نفسـه ، وفي قلبه ، وفي كل احاسيسه .

وفي هذه الجملة يقول :

« وسوف يلاحظ قارىء هذا الديوان ان في القسم الثاني ، والثالث على وجه الخصوص .. قصائد مـن الشعر الحر .. وقد يعجب بعضهم ان يرى هذه القصائد في ديوان اكثر قصائده مـــن الاوزان الشطرية .. فليس هذا عائدا الى اظهار القدرة على تأليف مثل هـذا الشعر **الحر ، من ناحية .. او انجراف مع تيار التقليد من ناحية** ثانية ، بل يعود الى المضامين التي تناولتها في شعر هـذا **الديوان .. فبعض المضامين يسهـل تناولها في اوزان** شطرية ، وبعضها لا يحتمل الا الاوزان الحـرة ، كما ان شيئا منها لا يتسع لهذا او ذاك ، وانمـا مجاله النثـر **المركز » ..**

لقد ذكر الشاعر المدني في هذه الجملة امورا هامة .. انه يحس ان في « **العودة** » الى الشعر الحر .. ـ ونلاحظ كلمة العودة ـ ما يمكن ان يعتبر « اظهارا للقدرة » على حد تعبيره المنتقى .. او هـو التكلف والافتعال بتعبير آخر .. كما انه ينبه على ان عودته ـ وهي في هذه المرة ليست عودة بالمعنى الاول ـ الى الشعر الاصيل ـ ليست « **انجرافا في تيار التقليد** » .. فالشاعر اصيل في ذاته ، في ناحيتي الشعور والتعبير معا .. ولذلك فهـو حـر ، بمعنى انه قادر على اختيار الانسب لمعانيه واخيلتـه ..

وفي هذا رد علمي وموضوعي علـى اولئك الذين يهدمون الشعر العربي ، ذي البناء الراسخ القديم ، لانـه عندهم قد استنفد اغراضه .. او غير ذلك من تعبيراتهم العقيمة .. اما شاعرنا المتفتح .. فحريته هنا هي الاصالة ، وهي القدرة على التمييز ، وهي النجاح في حسن الاختيار ..

لذلك نجد ان قصيدته الاولى في ديوان « اشرعـة وامواج » .. والتي سماها « رحلة عاشق » .. منظومة على قافية واحدة ، من بحر الخفيف .. وانه رغم التزام القافية الواحدة ، وصل في قصيدته الى قرابة المائة بيت .. دون ان تخف حدة شعوره المتدفق ، او يخفت سنى **لهيبه المتوهج !**

لست ادري لماذا ذكرتني هذه القصيدة .. التـي **قرأتها واستعدتها مرارا .. بقصيدة « صلوات في هيكـل الحب » للشاعر ابي القاسم الشابي ، شاعـر تونس ..** التي قرأتها في اوائل الثلاثينات ، ونالت مـن اعجاب الشعراء ، ودراسات النقاد .. ما لا يقف عند حد ..

اني ازعم ان قصيدة « رحلة عاشق » .. لشاعـر **الخليج الشاب ، احمد امين المدني .. لا تقل عن قصيدة** الشابي : « صلوات في هيكل الحب » .. بـل ربمـا **ناظرتها ، وتفوقت عليها .. وكل مـا في الامر ان كـلا الشاعرين كان ممتلئا بعاطفة جياشة ، لا حـدود لتدفقها .. وانما هما يختلفان فقط في نـوع هـذه العاطفة .. فبينما الشابي يضحك ، اذا المدنـي يبكي .. وبينما الشابي يتنسم عبق الازهار ، اذا المدني يحترق علـى لهب النار .. وبينما كان الشابي يعبث، اذا المدني يجد.**

ولا بد .. بعد هذا الزعم .. مـن ان نقوم نحن

برحلة .. في قصيدة « رحلة عاشق » .. لشاعر الخليج، الموهوب .. احمد امين المدني .

والقصيدة منقسمة الى ستة فصول ، مختلفة الطول ، والقصر .. يقول في اولها :

عادني من هواك ما لا اقول   ألم قاصم .. ودمع هطول
ارسل الآه .. موجعا من شجوني   كلما قهقهت بكاسي الشمول
وعراني من الاسى ما عراني   في الليالي ، وما أعاني مهول
حائر الروح ، ذاهل ، مستطار   وحدتي وحشة ، وقلبي عليل

على انه رغم كل ما يحتمل ، لا يزال يحفظ الود لصاحبه ، ويكن له من الحب ما لا يقدر ان يبوح به :

رغم هذا وذاك يحمل قلبي   لك ودا ، يذكيه شوق دخيل
كلما رمت ان ابثك ما بي   بعض ما بي .. فدونه ما يحول

ثم اذا بالنار تندلع فجأة .. فاذا به يصيح :

واذا ثار في ضلوعي حنين   دقدقت منه في الضلوع طبول
ويجيش الهوى لظى في دمائي   فلقلبي من فرطه .. تهليل
أضرب الكف منه بالكف ياسا   واداري أساي .. وهو جليل
ما اعتذاري .. وان عذري ذنب   عند من عذره لنا مقبول
لم أجد ما يخفف الهم عني   من هوى جامح اللظى .. ويقيل

ثم ينتقل بنا الشاعر الى القسم الثاني ، من اقسام قصيدته الستة .. وهو اهم هذه الاقسام في نظري ، لانه يصف فيه الرحلة الخيالية ، وصفا ظاهرا ملموسا .. ملتهبا في نفس الوقت .. مذكرا ايانا برحلة الابيوردي .. في بعض مواضعه .. فيقول :

جئت اهل الهوى .. لعلي احضى   عندهم ما به العذاب يزول
فتحريتهم .. وسرت بركبي   وفؤادي الحادي ، وشوقي الدليل
فبدت لي خيامهم من بعيد   للرياح الهوجاء فيها صهيل
فثنيت العنان صوب حماهم   يعذب الليل عندهم ، والمقيل

هذا مسيره في الصحراء ، التي « تصهل » فيها الرياح .. قاصدا اهل الهوى .. فكيف وجدهم ، وماذا رأى منهم ؟

فرأت الاقوام نضوى حيارى   كل نضو بهمه مشغول
قد رمتهم يد الهوى برسوم   درتهم ، وهم عليها محول
بعضهم موجع .. وبعض صريع   وقتيل .. وموسر .. وعليل
ليس الا شواهد الحال .. تنبى   عن أساهم .. وما يبين القليل

هكذا وجدهم .. فماذا قال لهم ، وماذا قالوا له ؟ هنا نترك الشاعر على سجيته .. يشرح لنا هذا الموقف الرائع .. من قصيدته الممتازة :

قلت : اهل ألهوى.. عليكم سلام   من آله الورى .. ودوح جزيل
هل لطار.. في ربعكم.. من مقام؟   قالوا : اعقر .. فانت ضيف نزيل
من آتانا .. يلقى لكل مرام   عنده .. ما نثيبه ، وننيل
قلت : يا قوم .. ان امري أمر   ومن الدمع لي عليه دليل
جئت بي فاقة اليكم ، وانتم   في حماكم يحقق المأمول
ثم قالوا : ما الامر ؟ قلت بلائي   ما عراني منه الاسى والنحول
ادركوا ما اردت قبل مقالي   وبما كان في الفؤاد يجول
فاشاحوا بأعين حائرات   لم يعد للدموع فيها مقيل
ثم رقوا وتمتموا بحديث   شرحه ان مضيت فيه يطول
غير طيف .. رأيته يتفنى   موجع القلب .. طرفه مبلول
من غناه .. هذا الذي هو آت   ايها القارىء ، الكريم ، البخيل

ولعلنا ندرك حين نصل الى هذا المقطع ، ونقف على هذا البيت الاخير بالذات .. مقدار الجمال الذي نحسه في المقطوعة ، والصدق الملتهب الذي يصور لوعة الشاعر العاشق ، وهذا الجمال التعبيري ، المتمثل في هذه التنقلات المفاجئة بين قلت ، وقالوا ، وادركوا ، واشاحوا .. ثم رقوا .. الى آخر هذه السلسلة من الانتقالات .. ثم هذا التلاعب بالمشاعر ، في هذا البيت الاخير الجميل.. الذي يرشح لما بعده ترشيحا لطيفا ، بينما يهز القارىء في نفس الوقت بوصفه بالكرم والبخل معا .. هزا عنيفا.

والقصيدة بعد ذلك طويلة تقارب المائة بيت كما قلت ، ولو مضيت في عرضها لم افرغ لغيرها من قصائد الديوان السبعين .. وكلها جميلة ورائعة .. وحسبي ان ابحث عن الصدق في الشعور ، فأقف عند فقرات .. كهذه التي يقول فيها :

انه الحب .. ليس لعبة لاه   او رغاب لارعن فتزول
هو لحن العذاب آنا ، وبوح   وأوانا آلامه ترتيل
هو بؤس على الحياة ، وهم   وشقاء ، ولعنة ، وخمول
بورك الحب .. رقة في طباع   وحنان في القلب حلو ، جميل
آه .. منك اللهيب يعذب دوما   أيها الحب .. والعذاب الطويل
أنت نعمى في كل حال ، وحتى   في لظى النار .. روضة ، وقبول

ثم ينصح كل محب ، لم يصل الى غرضه ، بأثمن نصيحة في هذا المقام .. وهي الكتمان ، والصبر ، وانتظار ما يأتي به الغد .

أيها الحائر المعذب رفقا   بهوى في الضلوع منك يجول
لا تبحه ، واكتم لظاه صبورا   يعطف الخل مرة ، ويحول
لو درى المرء بالذي سوف يجري   في غد ، او له تشق السدول
لارتضى بالذي حوته يداه   من زمان .. يخون فيه خليل

وبعد ان يحمل « بريد الوداد » الى صاحبه رسالة شوق تنبيه بما اصبح يعاني من عذاب وشقاء ، مع حفظ للعهد لا تشوبه لحظة نسيان .. اذا به يعود الى صياحه من جديد ، في شعور متدفق ، زاخر ، مضطرم ..

كلما لاح طائف من خيال   عبر دنياه .. حائر مجهول
هب من حلمه .. ينادي.. حبيبي   مرحبا .. من اليه عز الوصول
ويغني من شوقه ما يغني   من لحون .. ويرتمي .. ويقول
يا خيالا مجنحا بالاماني   قد دعاه قلب حزين بتول
وضياء ينساب في كل روحي   منه ذوب ، مقطر ، معلول
يا عذابا .. احبه .. في دمائي   منه وهج على الليالي خجول
كيف حالي اذا رمتني الليالي   في صحارى تبكي عليها الطلول
ليس لي بعد كل ما اتمنى   عنك في موكب الحياة بديل
او لدنياي .. ان يشع مداها   بضياء ... الا سناك الجميل
لا وعينيك .. لا اريد بديلا   انما يطلب البديل .. الملول

ولجمال هذه القصيدة ، وتأثيرها في النفس .. اراني عرضت قريبا من نصفها ، دون ان احس شيئا من التطويل ، ولن يحس القارىء شيئا من ذلك ايضا .. ولهذا اجدني مضطرا لان اختم رحلة هذا العاشق .. بما ختم بها الشاعر قصيدته من ابيات عاد فيها الى ذكر آلام الحب ، وجميل الصبر على احتمال تلك الآلام :

وتلفت عائدا .. لست ادري   أي صوب اليه بعد اميل
يعصر الاين كل جسمي .. ويجري   في ركابي الاسى.. ويحدو العويل

مغاني الربيع

●

احب مجاني الحب جيد ومبسم — واشهى مغانيه الربيع المبرعم
فيا طفلة العشرين لا تعجلي الخطى — اليها ففيها قصة الحب تختتم
فما بعدها وجد ولا بعدها رؤى — وما بعدها الا الاسى والتبرم
اذا عقل الانسان لم يبق للهوى — مكان وما كالوهم للقلب مرهم
سقى الله ايام الحداثة اذ أنا — صغير ومن حولي رباب ومريم
نطير الى «مرج العيون» بلا هدى — ونرقب وجه الشمس من حيث تظلم
كأن لنا في منزل النجم موعدا — فيا طيب ما نهوى وما نتوهم

وديع ديب

ان يكن في الغرام غيري يلقي — مثل هذا .. فان صبري جميل

على ان هذه القصيدة التي وقفنا عندها طويلا ، دون ان نوفيها حقها من العرض ، والنقد ، والتحليل .. وبخاصة في توضيح هذا الجانب الذي يترك في نفسي اثرا بعيدا .. وهو وصفه للصحراء من خلال مشاعره المتدفقة ، وعواطفه الجامحة .. اقول ان هذا لا يلهينا عن الاشارة الى ما اشتمل عليه الديوان في قصائده الاخرى ، باقسامه الثلاثة من جمال الايقاع والنغم ، وروعة الوصف والتصوير .. واذا كنت قد استطعت ان اعيش مع وصف الصحراء ، من خلال قصيدة الحب ، التي تصف رحلة عاشق ، فانني استطيع وانا مطمئن ان ادل القارىء على مواضع من الوصف الجميل ، لهذا الجانب الرائع من جوانب الجزيرة العربية .. وهو جانب الخليج .. حيث الامارات العربية .. وحيث دبي .. وحيث شاطىء اللؤلؤ .. ذو المناظر الخلابة .. التي اوحت الى الشاعر عنوان ديوانه .. « اشرعة وامواج ».. دون ان ينسيه جمال الظاهر ، ذلك الجمال الباطن ، جمال النفس وتصويرها ، والمشاعر الانسانية الصادقة ومتابعتها ، والآمال الوطنية المرجوة والافصاح عنها .. ولذلك لم تخل مجموعة هذا الديوان الجميل ، من قصائد تحمل عناوين « البطل » و « الشهيد » .. و « الجبان » .. بالاضافة الى قصائد الوصف مثل قصائد « جزيرة الاحلام » .. و « هبة الشاطىء » .. و « شاطىء ومحارودر » .. الخ ..

لنستمع اليه يخاطب « الشهيد » فيقول :

هو نور الحياة في الاجيال — ولحون الخلود ، رغم الزوال
فوق ما يدرك التصور فيه — من معان كريمة وخصال
منه تستلهم الشعوب سناها — في ظلام الآلام ، والاهوال

ولنستمع اليه في قصيدة « هبة الشاطىء » .. يصف بلده :

ربوع الضحى ، مرفأ الانجم — وانشودة السفن العائدات
اذا ذكر الحسن في العالم — برزت الفريدة في الكائنات

سماؤك فيروزة .. في النهار — وياقوتة .. في هبوط المساء
ورملك من فضة .. ونضار — وبحر .. يعانق لون السماء

ثم لنستمع اليه.. من قصيدة بعنوان « السقوط » يقول في شموخ وكبرياء :

العمر في الدنيا قصير — ما طال ، والعقبى حفير
فعلام تحيى كالحقير — ما بين جلاد ، وبنير

واخيرا .. فهذا هو الشاعر ، والصديق احمد امين المدني .. الذي جمعتني واياه توارد الخواطر في « حصاد السنين » .. ثم اسعدني متفضلا باهداء ديوانه الثاني « اشرعة وامواج » .. ما زدت على اني عرضت لشعره عرضا سريعا .. ارجو ان يكون فاتحة لدراسته من جانب اساتذة الآداب .. وبالمهتمين بالشعر العربي الاصيل الخالد ، ونهضته المتجددة على اصول ثابتة في كل عصر .. عند الملهمين من شعراء العربية .. وفي مقدمتهم ، دون ادنى ريب : هذا الشاعر الشاب الموهوب .. « شاعر الخليج » !

مصر الجديدة — **عامر محمد بحيري**



بقلم جمعه محمد جمعه



النار .. الدخان .. طلقات الرصاص .. دانات المدافع والدبابات .. الهجوم الشديد .. المقاومة العنيفة .. النهار يحتضر .. والشمس تؤذن بالافول ، والطائرات المغيرة تحلق كالذباب في السماء ، واشتد الحصار حول الفرقة .. الوجوه المسودة من لفح الشمس ، ولفح النار مصممة على الاستبسال ، والعيون المتقدة كشرارة القذائف مضحية باخر نقطة دم .. ولكن القائد يخشى فقدان رجاله في معركة ميئوس منها .. الاتصال مقطوع تماما مع القيادة .. ميدان المعركة بما فيه من فوضى الانسحاب واحة راكدة تتقافز فوقها الطيور الجارحة .. وكأنها طيور العالم كلها مدعوة الى وليمة في قلب الصحراء .. وقد وفدت جميعها .. اجتذبتها رائحة الشواء ..

دعا قائد الفرقة صالحا .. وانفرد به .. لمح صالح على وجه قائده الحزن والهم .. وارتسمت فوق خديه علامات الاصرار .. قال القائد متأنيا :

– يا صالح .. سأكلفك بمهمة عسيرة .. اننا محاصرون منذ يومين ، وقد اوشكت ذخيرتنا على النفاذ ، والمؤن ايضا .. يبدو انا لن نستطيع فك حصار العدو عنا ..

– أمرك يا سيدي ..

– ها هو الظلام قد اطبق علينا .. عليك بالتسلل .. سأتلو على مسامعك رسالة شفوية لابلاغها الى قيادتنا في الجانب الاخر .. ارواح زملائك وقف على نجاح مهمتك ..

العرق المترب لصق الشفتين ، وقد تضخمتا من الاجهاد .. والوجه المعروق اللامع نافر فيه الندم .. قال صالح :

– هل سأذهب وحدي .. اريد رفيقا اتخذه دليلا .. فلا بد ان تصل الرسالة ..

واخبر القائد صالحا برسالته .. واختار صالح محمودا مرافقا له في رحلة الهلاك .

تسللا ليلا ، زحفا حتى اخترقا حصار العدو .. بدأ محمود يسير في المقدمة وصالح يتبعه عن قرب .. كلاهما يحمل مدفعه الرشاش .. كان الطريق شاقا وطويلا .. اشرق النهار وهما يجتازان الطرق يتلمسان الامان .. والابتعاد عن مواقع الاعداء .. واستمرا في السير .. وقد عاودت طائرات العدو هجومها .. وملأت السماء .. والقت سيلا من قذائفها فوق بعض المواقع .. وارتفعت سحب الدخان .. والسنة النيران .. أحس صالح بالعبء الضخم الملقى على عاتقه .. والمسؤولية عن الارواح المكافحة المناضلة المحاصرة .. اتسعت المسافة بينه وبين محمود حتى وصلت الى مئات الامتار .. فللنهار عيون .. وللعدو مراصد ترصد كل حركة ..

قرب الشاطىء .. فوجىء صالح بثلة من جنود الاعداء يحيطون بمحمود .. ويستولون على مدفعه .. اقشعر بدن صالح .. فاما ان يندفع واما ان يجبن .. اما ان يتهور واما ان يتريث .. وتهاوى محمود تحت وابل من رصاصاتهم .. كاد صالح يصرخ وهو يرى على البعد زميله ورفيقه وابن امه يتقلب فوق الارض ثم تصمت حركاته .. لكن الصرخة احتبست في حلقه .. ولم تخرج ابدا .. تساقطت دموعه .. واضطربت مشاعره وامتلأ فمه بمرارة لاذعة .. واحتوت الحسرة قلبه في قبضتها .

انطلق صالح يقطع ما بقي من الطريق متخفيا .. متخفيا من جنود الاعداء .. ، متخفيا من الطائرات المغيرة .. متخفيا من الطيور الجارحة المفترسة .. حتى لاحت له في الافق القناة .. وكانت اصلب المهام واشقها اختراق قوات العدو المنتشرة فوق الشاطىء .. فقرر ان يتخذ الليل ستارا للعبور ..

اخذ صالح يجدف متحديا الموت .. الارهاق قد فت في عضده .. والتعب قد ملك ناصيته .. لكن عبء الرسالة امده بقوة فاقت قوته .. فلا بد للرسالة ان تصل ..

تلقفه زملاؤه على الشاطىء الغربي للقناة بعد ان انتشلوه من الماء بين الحياة والموت .. وسقط بين اذرعتهم مغشيا عليه .. فأراحوه .. وعملوا على افاقته .. تلفت صالح حوله .. وبدات بعض الاسئلة من ضابط اتى لتوه :

– من اي فرقة ؟

– ......

– ماذا حدث لفرقتك ؟

– ......

ارتسمت الدهشة على الوجوه المحيطة به .. وهم يتكلمون ويصفونه بانه ابكم .. تتحرك شفتاه دون اي صوت .. سمع صالح كل ما قالوه .. فانطلق صراخه في صوت مكتوم .. واخذ ينبش وجهه بأظافره .. وهاج هياجا عنيفا .. بذلوا الكثير في سبيل تهدئته .. وقد اتخذ الضابط امرا بنقله الى المستشفى ..

حاول صالح التحدث الى الضابط بالاشارة .. لم يعره ادنى انتباه .. امسك بذراعه وطلب بالاشارة ورقة وقلما ، وبعد مجهود عنيف اجيب الى طلبه .. وكتب الرسالة الشفوية

أمطار

بوركت يا امطار ، قدست يا ... امطار ، يا ارجوحة الاحلام
الا غزلت جبة حلوة ... ألبسها على مدى الاعوام
اسمع ، ما اسمع ؟. انشودة ... فضية مرنة في جامي
ام ضحكة الاطفال في مزهري ... أم عرس الجيران ، أم انغامي
ام حلب الشهباء في لهوها ... ام هتف سيف الدولة المقدام
يا انت يا امطار ، لولاك ما ... ندي ، وما سكبي ، وما تهيامي
هلي على ربعي .. على عالمي .. ... لتكحلي محاجر الالهام
لتضحكي بيادر المرتجى ... على اساطيري .. على اعلامي
ولتزرعي كوى الهدى ها هنا ... وها هناك في مغاني الشام

رنحت دنيوات احلامنا ... لونت نجوى غدنا البسام
فصفقت أجنحة في الفضا ... تطير بالفلاح والكرام
واختلجت معاول ، واكتسى ... نول ، وهودت ربا الافهام
وكم سري قد تمناك ، كم ... مروءة عطشى ، وكم اكرام
وكم فقير جرحت زهوه ... ونعمياته مدى الاوهام
أواه من صوتك ! فيه شذا ... عروبتي ، فيه شذا آلامي
ما زال تجوابي وحريتي ... وسر كبرى ، ودنى اقدامي
يا انت يا امطار ، لا تسكتي ... ولتفسلي من صدا الاقلام

حلب ـ دار الكتب الوطنية — علي الزيبق

التي تلقاها من قائده .. ثم قدمها الى الضابط الذي قراها .. ولم يزد على قوله وهو ينصرف :

ـ لهم الله .. ماذا بيدنا من اجلهم ..

قضى صالح فترة طويلة في المستشفى ثم خرج عائدا الى فرقته .. احتفى به من بقوا على قيد الحياة .. واخذوا يقصون عليه العمليات الانتحارية التي اقدم عليها بعض جنود الفرقة .. خشية وقوعهم في الاسر .. وقد نجح البعض في التسلل والهرب .. وسقط البعض الاخر تحت قذائف العدو .. وصالح يستمع والصمت معه ..

ظل صالح يعمل في فرقته بعد ان دعمت بالجنود الجدد .. غارقا في صمته .. غارقا في حزنه .. يستعيد في ذهنه دائما انه المسؤول عن ارواح زملائه .. رغم انه ابلغ الرسالة .. الا انه كان يشعر بشعور المذنب .. ظل سنوات يتدرب ويقاوم الاحساس بالذنب .. صامتا صابرا مثابرا .. فما زال يحتفظ بالطلقات التي كان ينبغي عليه ان يصوبها الى قلوب اعدائه الذين قتلوا محمود .. والصرخة ما زالت محبوسة في حلقه ..

اخذ صالح يتحرك مع فرقته في ذهول .. وسؤال يدور في ذهنه :

ـ « هل حانت اللحظة الحاسمة ؟.. هل سيعبر القناة للثأر ؟ »

وكانت الحقيقة اكبر مما تصور ... والعبور انجح مما توقع .. وما ان وطئت اقدامه الارض المحتلة ، حتى ارتفعت الرشاشات فوق الرؤوس معلنة فرحة العبور .. وتعالى دوي الهتاف وغطى على دوي المدافع المعادية :

ـ الله اكبر .. الله اكبر ..

وارتجت جدران الصمت .. وشعر صالح بانطلاق قذيفة من فمه .. فعاد يردد لنفسه ليسمع صوته :

ـ الله اكبر .. الله اكبر ..

وكان صوته غريبا عليه .. لكنه سرعان ما تعرف عليه .. وانطلق خارجا عن شعوره بين زملائه يقبلهم ويغرد بصوته العذب وهو يتقلب فوق الرمال .. ويقبل الارض ويدفع بقبلاته الى السماء .. وهو يردد منشرحا :

ـ الله اكبر .. الله اكبر والحمد لله ..

القاهرة — جمعه محمد جمعه

الشاعر الايطالي ايرالدو ميشيا

قصائد من شعره

Eraldo Miscia

ترجمة عيسى الناعوري

تعريف : ولد في مدينة « ابروتسو » ، ويعيش منذ عدة سنين في روما ، حيث يعمل رئيس تحرير لمجلة « المعرض الادبي » LA Fiera Letteraria الاسبوعية منذ اكثر من عشر سنوات . وهذه المجلة هي المجلة الادبية الاسبوعية الوحيدة في ايطاليا، وعمرها الآن خمسون عاما ، وعن طريقها عبر اكبر الكتاب والشعراء الايطاليين المعاصرين. ومنذ عام ١٩٧٢ انشأت جائزة ادبية سنوية مقدارها عشرة ملايين ليرة ايطالية . اخر ديوان شعري صدر له عنوانه « العثور من جديد على يوليسيز » Ulisse Ritrovato وهو مجموعة قصائد اوحت بها رحلة قام بها الشاعر الى اليونان . وصدر الديوان عام ١٩٧٣ . وقد اصدر ايرالدو ميشيا من قبل عددا اخر من الدواوين الشعرية منها :

١ – ظلام اورفيو – عام ١٩٥٢ .
Buio di Orfeo

٢ – لم يكن يدري احد اننا كنا قديسين – عام ١٩٥٨ .
Nessuno lo sapeva che eravamo santi

٣ – استدارة الطبل – عام ١٩٦٨ .
Il rullo del tamburo

الهرب

ها نحن ندور حول
تلال (ايتوليا) المحروقة
التي تتناثر في الفجوات البركانية .
وتنبسط الحروق
معطفا صدئا
على نسيج الخضار العنكبوتي
والشقوق المستطيلة
في الصخور تسكنها
اشكال هندسية :
الطريق ليست عجلى
فالمنعطفات والدورات
تتوالى باستمرار
والالتفاف يدور
مكررا الف مرة
دورانه حول الصحارى
التي ، في مسيرتها الرتيبة ،
تفقد حس الزمن .

اننا نهيم عبثا
لكي نعرف كيف نبدأ المسير
وسط هذه الحشائش الكثيفة
التي تغرق فيها
الافعى الجنوبية الطويلة
التي تنفحر كل مساء
في الجحيم ، وتعود
مع كل شمس جديدة
لتلعب بنا :
والعدو كذلك منهوك
من تكرار محاولة الصيد
في شعوذة
الصباح الذي يجعل
من كل فجوة مدى ضائعا
للمحاصيل ، ومن كل كومة تراب
قبرا لاحد الابطال .

تينة ديلفو

انها تقف على الصخرة كقبضة مغلقة
وتهفهف اوراقها باكفها المنثنية
نقابا أزرق قائما
بين العين الناظرة والهاويات المقدسة .
لقد ذبلت الثمار ، كأثداء فتيات مريضات
وخبأت رحيقها في الاحقاق المتدلية
التي ينهشها النحل غاضبا ، ولكنه
لا يستطيع ان يجرحها .
وبين الفينة والفينة يتكلم الكاهن الاغريقي
(ما اصعب الصمت !)
وعندئذ ترتعش القلوب
والممالك ، ويشحب الطاغوت بدوره .
ومن المدن – القواقع – المغلقة على انفسها
تصل احمال الذهب والصلوات .

فيا تينة ديلفو ، النامية نموا غير عادي
والتي تتحدى الجراح المؤلم !
من قبل او من بعد
سيهبك الحارس النعمة ،
متظاهرا بانه يجهل
انت ملأت بالحلاوة افواه
جميع من كان لديهم ما يقولونه
او الذين كانوا يختارون الصمت الغامض
الذي يخيف اكثر من كل خطاب .

يوليسيز يعترف

– وطني هو ايتاكا المليئة بالاعداء وبالاقارب . ولكنني احب ظهور المراكب والهوائيات المحطمة . احب نوبات الكرى الطويلة والليالي البهيجة ، والسيدات الانيقات .



ايرالدو ميشيا

احب من لديهم القدرة على تغذية انفسهم
بتناول الاطعمة الغالية الثمن .

ـ مملكتي فندق بعيد ،
أقيم في الدور الرابع
دون عشيقات ، واشرف
على ادارة موظفيه بالحاكي
وانام حتى وقت متأخر
وحين تاتيني الخادم بالفطور
داخل غرفتي ، ومعها الجريدة
املس شعراتي الرماديات ،
وابتسم لليوم الجديد
الذي يستقبلني لطيفا وادعا .

ـ اقرأ العناوين وحدها في الجريدة
وهي دائما تعطي اكثر او اقل من النص
الذي تتربع فوقه . ثم اقرر ماذا اصدق
مختارا في الغالب الافكار التي
يهيئها الآخرون ، مهما كان ظنهم فيها .

ـ لقد عشت عمرا مفرطا في طوله
وعلى الكثير من صخور الشاطىء تجولت
لكي اتجاهل ان الوجود
يفرض قوانين عديدة ، ولكنه
فوقها جميعا ، يفرض قانونا للتعايش
مفاده : ان لا نقيس قريبنا ابدا
بمقاييسنا الخاصة !

ـ بعد ان قرعت ابوابا عديدة لاناس اقوياء
ها انا قد كتبت على جبيني جميع مغامراتي:
النساء اللواتي جرحتهن ،
والرجال الذين خدعتهم
حين كنت .... وحين كنت خنزيرا
حين كنت احترم الصيغ
وحين كنت ثائرا على المضامين .
دائما باشارتي
ولكن خارجا على القاعدة
حين اردت كل شيء
لكي اعود فاتخلى عنه .
وفي التخلي أجد لذة جديدة
كانما اعبر من نفسي
عن الجانب الاشد اختفاء .

ـ وفي الليل يحدث
ان احس بالسماء هابطة فوقي
بكل نجومها . وعندئذ لا اعوذ

ذلك الانسان الخادع المحتال . عندئذ
اتصرف تصرف طفل واختبط وازعق
وارثي لنفسي . ولكنني
في التحسر على نفسي
لا الجأ الى الناس
وانما الجأ الى الاشياء .

الدفاع عن النفس

مـاذا نعمل
نحن الشبان
ماذا نعمل ؟
ان محاولتنا
الجاهـدة
هي لكي ندخل الى العالم
المنطـق
(ولكننا يائسون من المحاولة
بمقدار ما نحن
يائسون من العالم)

ان المحاولـة
تفندينـا
وتدينـنا

الجثـة

منذ قليل نفخ الحزن الصامت
احشاءك ، وكنت قاتلا في داخلك
وفي خارجك ، كنت قاتلا
تحديا وثورة .

منذ قليل كانت شفرة تمر
عبر الاحشاء ، متفطرسة
لا على رجل مهزوم
بـل فوق جثته .

القنـاع

أيها الباعث الخصب ، انك تبحث
عن العصا التي تحلك
لا من الذنوب
بل من عواقبها .

لديك ، ليس .... وديونيز
شخصا واحـدا
مثلما هما فينا جميعا ....
وديونيز يعبثان فيك
عبثا صبيانيا ، ليثيرا

فخفختك الكيميائية
او رياحك الميتافيزية .

انت لا تحمل القناع
على عينيك ، ففي عينيك
تتفجر الحيل الكرنفالية
والقنـاع
تحمله الى اسفل
حيث تينـع
السرة الرطبة .

المتلقن الساحر

كثيرا ما تفلت الكلمات من بين شفتيك
وتسقط على قدميك
وتقبع هادئة ساكنة
نادمة عـلى رنينها
وتتحول الى اوراق ميتة
كثيرا ما تزهر على شفتيك
المبقعتين باللعاب صفوف
من ارقام تتراكم
كالمداميك العوجاء
من اجل عمارة ستطير اجزاء

مـن أنت ؟

من انت يا ذات الشعور
الشقراء ، والاحداق الفضية
والركبـة العاريـة
وباصبعك تشيرين
بجـرأة الـى
الفخـذ البضة ؟

فيك ايتها المرأة الجالسة في ....
يحيـا الشبـاب
فـي لعبـة
تؤلـم
جلـدك

تفلقين وجهك في عظمة
مثـل اولئـك
اللواتي يحببن انفسهن
لكي يفبن عن الوجود فقط
(وحبهن اشبه بالقلعة
او المتحف)

عمان ـ الاردن   عيسى الناعوري

مع اساتذتي وزملائي في الجامعة المصرية

بقلم المستعرب الايطالي اومبرتو ريتستانو

Umberto Rizzitano

***



لا اظنني اعدو الحقيقة اذا ما اكدت ان اغلب المشتغلين بالفكر يمرون عبر مراحل اضطرارية : ففي عهد المراهقة يحاولون نظم القصائد الاولى ، وفي سن النضج ينصرفون الى الممارسة المهنية ، وعند اقتراب الشيخوخة يستعرضون وجودهم ، لكي يفحصوا الاحداث الاكثر اهمية التي اغتنى بها هذا الوجود ، ولكي يتوقفوا عند ما كان منها اعلق بأنفسهم واذهانهم . وعندئذ ، واستمتاعا منهم بالعودة الى العيش عند تلك اللحظات ، يستسلمون الى الضعف (ان كان هذا يعد ضعفا) بأن يعمدوا الى كتابة ذكرياتهم .

وها انا ، وقد اقتربت من هذه المرحلة الثالثة من العمر ، وكان علي ان اختار موضوعا لدردشة هذه الامسية ، اراني قد عولت على استذكار اشياء اساسية من نشاطاتي طالبا وباحثا: تلك الاشياء التي كانت القاهرة مسرحها ، وجامعة الجيزة على وجه التحديد هي مكانها. سأذكر باختصار الاساتذة والادباء الذين يظل ذكرهم حبيبا الى نفسي بنوع خاص ، كما هو عزيز على القسم الاكبر من مستمعي الكرام .

والذين اعنيهم هم الاساتذة الذين اقترنت اسماؤهم بالحياة العلمية والثقافية في مصر والعالم العربي بأسره ، منذ العقود الاولى من هذا القرن . ولئن كان قد غاب حتى الآن اغلبهم ، فان عطاءهم النفيس في مختلف الحقول والدراسات لا يمكن ان يغيب ابدا .

كنا في عام ١٩٣٧ حينما عدت الى القاهرة بعد تخرجي في جامعة روما على ايدي المستشرقين الايطاليين، امثال كارلو الفونسو نللينو ، وميكيلانجيلو غويدي ، اللذين يعرفهما جيدا كبار السن منكم ، لانهما كانا استاذين في جامعة الجيزة . ولست في حاجة لاذكر انني كنت ما ازال في بواكير حياتي الاستعرابية حينئذ ، ولم اكن اعرف بعد ما اذا كان علي ان انصرف الى الدراسات الادبية ، ام اللغوية ، ام التاريخية ، ام الى كل هذه معا ، كما فعلت فيما بعد . ولكنني في غمرة الحيرة كنت على يقين من شيء واحد ، هو شغفي بجميع الانتاج الفكري القديم ، وانتاج العصور الوسطى ، والعصر الحاضر ، مما وصل الينا عن العرب بلغتهم العربية ، وهي اللغة التي لدي استعداد سابق خاص ودائم لها .

وما ان وصلت الى العاصمة ، وكنت قد غادرتها عام ١٩٣٢ ، حتى كان اول ما فكرت به هو ان احضر بعض الدروس في كلية الآداب . وكان لا بد لي من الاتصال بالعميد ، وكان يومذاك المرحوم طه حسين . واذكر انني كنت شديد التأثر والاعتزاز معا وانا اقدم نفسي الى الاديب المصري العظيم باوراق اعتماد جيدة : فلقد كان كلانا تلميذا لاستاذ واحد ، هو : كارلو الفونسو نللينو . ولعلكم جميعا تعرفون مدى اعجاب طه حسين بذلك المستعرب الايطالي ، فقد عبر عن هذا الاعجاب ابلغ تعبير في الجزء الثالث من « الايام » .

كانت حفاوة العميد بي بالغة ، وقد ظلت راسخة في ذهني بحيث استطيع الآن استعادة كل دقيقة من تفاصيلها . ولقد كان طبيعيا ان نأتي على ذكر نللينو ، وعلى اثره الذي لا تمحوه الايام في الجامعة المصرية ، وعلى دراساتي الاستعرابية ، ورغبتي في المواظبة على دروس اللغة العربية في كلية الآداب .

وحين خرجت من مكتب العميد كانت نفسي مفعمة بالسعادة والزهو : فلقد جاءت صلتي الاولى بالبيئة الجامعية المصرية عن طريق اشهر ممثليها : طه حسين . وكنت من قبل اعرف في هذا الاديب الكبير روحه النقدية الجدلية من كتابه الشهير « في الادب الجاهلي » ، كما كنت اعرف فيه موهبة القاص ، من قراءتي للجزأين الاولين من كتابه « الايام » ، اللذين ترجمتهما فيما بعد الى الايطالية ، وما ازال الى اليوم اقرأهما مع طلابي في الصف .

بعد تلك الزيارة مضيت رأسا الى سكرتيرية الكلية لتسجيلي طالبا مستمعا . وفي اليوم التالي كنت في الصف استمع الى اول درس في الادب العربي من طه حسين . ومن المؤكد انني لا استطيع ان اعبر بكلمات مناسبة عن القلق والشوق اللذين ترقبت بهما تلك اللحظة ، غير انني ربما استطعت ان اعطيكم فكرة عنهما ، مؤكدا انني ، رغم مرور خمسة وثلاثين عاما ، لم انس دخول الاستاذ الى القاعة : فقد راح يدنو بخطى موزونة وئيدة الى الكرسي، متأبطا ذراع فريد شحاته ، الذي لم البث ان اصبحت من اصدقائه .

كانت الدروس في تلك السنة حول بني كلب وبني قيس ، وايامهم في الجاهلية ، مع الاهتمام الخاص بالوثائق الشعرية التي وصلت الينا عن آثار تينك القبيلتين الكبيرتين ، واعمال اجدادهما . وعلى الرغم من اهمية الموضوع الكبيرة ، اذكر ان انتباهي واعجابي كانا

● **محاضرة كانت ستلقى في مصر في شهر نوفمبر الماضي ولكن نشوب الحرب في اكتوبر حال دون ذلك .**

منصرفين على الاخص الى امر لا صلة له بموضوع الدرس، وهذا الامر هو نصاعة اللغة العربية التي يتكلمها طه حسين ، وهي عربية كاملة نقية من حيث الاستعمالات الصرفية والنحوية ، سلسة البيان ، وتزداد اناقة وفخامة باستمرار استعمال الاعراب . وكثيرا ما كنت اشعر خلال تلك الدروس باضطراري الى محاولة التغلب على الالم الذي كنت اعانيه حين اقارن بين عربيتي المتواضعة وعربية الاستاذ ، وكانت بينهما هوة لا يمكن ان املأها ابدا .

كانت الدروس ملأى بالحيوية ، والتعلق بالموضوع، كما كانت عميقة ، وغالبا ما تتخللها لمسات من روح الاستاذ ، ولا سيما حين كان طه يبدأ الحديث حول مختلف المواضيع بالعبارة الاولية التالية : « كما تعلمون او كما لا تعلمون » . هذه العبارة كانت تثير المرح في الصف ، اذ كان الصف يعرف ـ كما يعرف المعلم نفسه ـ انها عبارة اصطلاحية : فمن المؤكد ان الوضع الحقيقي لجميع الطلاب كان يعبر عنه الشق الثاني من العبارة : « كما لا تعلمون » ، وليس الاول : « كما تعلمون » .

وكان تفكيري يشطح احيانا غير قليلة خلال تلك المحاضرات ، ولكن ليس الى امور شخصية ، بل الى تذكر صفحات من كتاب « الايام » ، هي الصفحات التي توقف فيها طه حسين عند طفولته الاليمة في القرية ، وعند تجاربه الازهرية التي لم تكن دائما سعيدة ، والى المحن التي تعاقبت عليه في القاهرة وباريس . كل ذلك كنت اقارن بينه وبين المكانة التي بلغها ذلك الانسان غير العادي عبر جهود فوق الانسانية ، وعبر مثابرة مثالية كذلك في التضحية . ومرارا غير قليلة كان الاستاذ يشير الى الاساليب الجديدة في النقد التاريخي والادبي التي تلقاها في جامعة القاهرة بقيادة اساتذة اوروبيين . ومن بين هؤلاء الاساتذة الاوروبيين كان يذكر نلّلينو بشكل خاص ، وبعبارات مغرية . ولعلمه بأنني حاضر في القاعة، كان يضيف قائلا : « وبينكم هنا واحد من تلاميذه » . ويسهل عليكم ان تتصوروا مدى اعتزازي بذلك ، غير ان حرجي كان اكثر من اعتزازي ، فقد كان الزملاء المصريون يحدجونني بأنظارهم ، بدافع الفضول دون ريب ، اكثر منها بدافع الاعجاب .

عند خروجي من تلك الدروس كنت امضي الى المكتبة اراجع مع بعض الزملاء الدروس التي تلقيتها . وكنت اعود الى البحث بشكل خاص في « ايام العرب » وفي مجموعات « طبقات الشعراء » المختلفة ، لكي اجد الابيات التي استشهد بها طه ، وفي كل مرة كنت ازداد اعجابا بالذاكرة العجيبة التي كان يمتاز بها ذلك الضرير العظيم ، الذي كان يتلو الابيات ، ويشير الى اختلاف الروايات ، ويحدد المصادر التاريخية والادبية وكأنه يقرأ في كتاب ، وكان دون ريب يقرأ في كتاب عظيم من الاعداد والمعرفة الواسعة اللذين كانت بدايتهما الاولية في كتاب القرية ، ثم اكتملا في الازهر ، وصقلا بعد ذلك باشراف بعض المستعربين الاوروبيين ، ومنهم كارلو الفونسو نلّلينو .

ولمدة ثلاث سنوات ، من عام ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٠، واظبت على حضور دروس المعلم ، كما بقيت حريصا على الاتصال به خارج الجامعة ، في منزله في شارع مونغريف. وكان منزله على مسافة بضعة امتار من منزلي .

ولئن كنت في الجامعة قد عرفت السبيل الى تقدير المعلم ، ففي تلك الزيارات المتواترة امتلأت نفسي اعجابا بطاقة الرجل الانسانية : فلقد كان دائم الحرص على مواجهة الشبان ، ومساعدتهم للتغلب على الصعاب ، ليس في الدروس فحسب ، بل في مجالات ظروفهم العملية . وفي مكتبه في شارع مونغريف ، وفي جوه الودي الحميم ، اتيح لي ان اعرف كبار العاملين في الحياة الثقافية المصرية قبل ربع قرن من الزمن : من ابراهيم الابياري الى شوقي ضيف ، ومن ابراهيم مدكور الى مراد كامل وكامل حسين ، ومن ماسينيون الى كوينتس والى الاب قنواتي ، وكلهم من كبار رجال الفكر الملتفين حول شخص الاديب والناقد الكبير ، ولا سيما في الايام التي اضطر فيها ـ او اوعز اليه ـ ان يبتعد عن القاعات الجامعية لاسباب لا اود الوقوف عندها ، ولكنها مصورة باسهاب في الجزء الثالث من « الايام » .

ولقد كان ، وما يزال علي واجب كبير في عرفان ما تلقيت من دروس ، وكذلك من الاعجاب بالنصيب الذي اسهم به هذا الاديب الكبير في مختلف حقول الادب ، بحيث انني ما ان توليت كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة باليرمو ، حتى اقترحت ان يمنح الدكتور طه حسين درجة الدكتوراه الفخرية . وقد منح هذه الدرجة عام ١٩٦٧ ، ومعها مجلد كرسه المستعربون الايطاليون لدراسة انتاجه .

وحينما بلغ معلمنا المشترك مغرب حياته العاملة ـ الحياة التي عرف كيف يملأ كل ساعة منها ، وكل دقيقة ، وكل ثانية ـ غاب عنا منذ شهور قليلة ، تحوطه قلوب تلاميذه واصدقائه ، ويعزيه اعجاب العلماء في الشرق والغرب ، حيث سيبقى ذكره خالدا الى امد بعيد.

ولنعد الآن معا الى ذكرياتي الاخرى ، التي آمل ان لا تكون مفرقة في الشخصية ، وباعثة على ملل جمهور المستمعين .

مع دروس الادب العربي كنت قد اعتزمت كذلك حضور دروس (النقد الادبي) التي كان يلقيها عالم آخر كان له مكان مرموق في الحركة الثقافية المصرية المعاصرة، وهو : احمد امين . وكنت اعرف ابحاثه حول المجتمع العربي في الجاهلية ، وعصور الاسلام الاولى . وكما يعرف البعض منكم ، كان احمد امين ابن الشعب ، وكان

يعرف عادات الشعب المصري وتقاليده ، وعقليته ومزاجه . وقليلون من المصريين كانوا على مثل معرفته هذه . ولدينا دليل واضح على ذلك في كتابه الذي كان يكتبه في تلك السنين عينها : « قاموس العادات والتقاليد المصرية » ، الذي لم ينشر منه غير الجزء الاول ، بسبب وفاة المؤلف .

وانه لمن المؤسف حقا لدارسي الفولكلور المصري انه لم يفكر احد في استئناف العمل الذي بداه احمد امين ، ومتابعته على اساس من المواد التي كان قد جمعها هو . واذكر ان احد انجاله ، وكنت قد اتصلت به بعد وفاة ابيه العلامة ، قد ذكر لي ان من أمنيات الاسرة ان ترى استكمال هذا العمل الذي عوجل قبل الاوان .

كانت دروس « النقد الادبي » تختلف كل الاختلاف عن دروس « الادب العربي » ، ليس لاختلاف المادة البين فحسب ، بل بالاحرى لاختلاف مزاج كل من الاستاذين : فقد كان طبع طه حسين اكثر تحفظا وارستقراطية ، في حين كان طبع احمد امين اقل تحفظا واكثر ملاطفة ، اذ كان بطبيعته ميالا الى الشطحات ، والى التمثل بحياته العملية . ونتيجة لذلك كان كثيرا ما يخرج عن اللغة الادبية الى العامية ، وكانت هذه تكتسب في فمه طعما خاصا . وكثيرا ما خيل الي ان الاثر قد يكون مختلفا جدا لو ان ذلك الاسلوب من اللجوء الى العامية كان يمارسه طه حسين ، الذي كان يعنى عناية بليغة باللغة الفصيحة بارستقراطية بينة .

كان احمد امين فخورا بأنه ابن الشعب ، وكان يحيا غير منفصل عن الشعب ، حتى في الدروس كان يتلذذ بالتحدث بالعامية التي يتكلمها الشعب . لقد كان مقتنعا — كما نعلم جميعا — بأن التعبير بالعامية كان دائما اكثر فعالية واعمق اثرا من التعبير بالفصحى الادبية ، وبأن العامية المصرية لا تفوقها لغة اخرى في طاقاتها التعبيرية .

ولم يكن من عادة احمد امين ان يلقي الدروس عن كرسي الاستاذية ، فقد كان يدخل الى القاعة بشخصيته المتينة ، وهو يطأ الارض بقوة ، وكان يحيي الطلاب بعبارات مشرقة ، ومنذ البداية يروح يدور بين المقاعد . وكثيرا ما كان يقطع سياق الموضوع لكي يلقي بعض الاسئلة على هذا او ذاك من الطلاب لكي يسمع جوابه ، ويختبر مقدرته على الاستيعاب ، ويعطيه الجواب . فاذا ما تأخر الجواب كان يهز الطالب المسؤول ، او يضرب على كتفه ضربة ابوية مرحة قوية لكي يعيده الى الواقع . وكانت الاوقات كلها صالحة لضربة مرحة ، او لعبرة حكيمة ، او فكاهة مقصودة يحكيها بالعامية المصرية ، طبعا . كانت دروسه ملأى بالحيوية ، تنقضي دون تجهم او جفاف ، وغالبا ما كان يبنيها على اساس ما كانت توحي به ملاحظات الطلاب ، واجوبتهم الآنية ، واعتراضاتهم . والخلاصة انها كانت دروسا قليلة الصرامة الجامعية ، تتحول الى حوار حقيقي بين الاستاذ والطلاب . كانت محادثات تعود الطلبة التفكير المنطقي ، وتحفزهم الى التمرين العقلي المستمر ، وترشدهم الى تهذيب الروح النقدي فيهم . وانا شخصيا استفدت منها فائدة ملموسة بتدخلي غالبا في الحوار ، وبالاصغاء اكثر من ذلك الى ما يقال .

ولقد بقيت على صلة بأحمد امين خارج الجامعة ايضا ، ولا سيما في دار لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كان يرأسها . وكنت كثيرا ما اذهب رغبة في زيارته، وفي الالتقاء ببعض الادباء والمؤلفين الشبان ، وكذلك الشعراء الزجالين : اولئك المغنين الشعبيين الذين كان يبدو انهم الاطار الاكمل لشخص احمد امين .

وحين توفي هذا الاستاذ حرصت على ان اكتب فيه مقالا ، نشرته في مجلة Oriente Moderno « الشرق الحديث » في روما . وفي العام الماضي اردت ان احيي ذكراه بأن قرات في الصف ، مع تلاميذي ، فصولا من تلاميذي ، فصولا من كتابه « فجر الاسلام » .

وبهذه المناسبة اود ان اعترف لكم بأنني ، في مطلع كل سنة جامعية ، حين ينبغي ان اختار النصوص للقراءة مع الشبان المستعربين الدارسين في جامعة بالرمو ، ينصرف اختياري الى مؤلفات العلماء والادباء العرب الذين كان لي حظ معرفتهم شخصيا ، او حظ التتلمذ عليهم : فمعاودة قراءة آثارهم تثير في نفسي غبطة خاصة ، هي غبطة العودة الى ان احيا من جديد اسعد ايام حياتي ، وعلى الاخص غبطة العودة — عبر دراستهم — الى الحوار الذي انقطع ربع قرن من الزمان . وانني كذلك لاحس بالراحة حين اصور لطلابي اليوم الخصائص الادبية والخلقية ، والوجوه الانسانية ، والمزايا التعليمية ، والمواهب العلمية لكل فرد من اولئك الكتاب . وتكون نتيجة ذلك ان امثال طه حسين واحمد امين ، والكثيرين غيرهما ، يكتسبون بعدا انسانيا وحيوية كثيرا ما يعيناننا على تقييمهم في اعمالهم الادبية .

واذا كان حبي لقواعد اللغة العربية قد ساهم في تغذيته في البداية استاذي في روما « المستعرب ميكيلانجيلو غويدي » ، فان شغفي بهذه القواعد قد غذته بعدئذ دروس الاستاذ ابراهيم مصطفى ، الذي لا يمكن ان انساه . فالاهتمام الذي كنت اتابع به دروسه قد لا يوجد له نظير لدى شبان الجيل الجديد ، فقد اصبح الصرف والنحو ، ونشوؤهما وتطورهما ، بالنسبة اليهم اشياء هامشية ، او ربما كانت غير ذات نفع ، ومملة بالتأكيد . اما نحن ابناء المدرسة القديمة — العرب منا والمستعربين على السواء — فان البناء الصرفي والنحوي للغة ما ، يمثل لنا جزءا اساسيا من تاريخ الشعب ، ويساعد على معرفة انماط من عقليته ، وعلى فهم طاقاته المنطقية والحدسية .

واذا كانت دروس غويدي في روما في « الفية ابن مالك » في شرح ابن عقيل ، قد اعانتني على فهم الروح التي كانت اساسا للقواعد العربية ، عن طريق شرح احد المستعربين (وقد كان من دابه ان يوالي الاشارة الى قواعد اليونانية واللاتينية) ، ففي القاهرة ، في دروس الاستاذ ابراهيم مصطفى، كنت اجدني في احسن حالة وانا استمع الى شروحه للمادة عينها ، من خلال الروح والعقلية اللتين يتحلى بهما عالم عربي لم تكن تخفى عليه خافية من تراث اجداده الصرفي والنحوي . من جهة كان هناك مستعرب له ثقافته الغربية ، ومن الجهة الاخرى عربي نمت ثقافته ونضجت في اكثر المدارس العربية تقليدية . وكان من المنطقي ان يتريث عقلي عند المقارنة بين التيارين المختلفين .

اما ابراهيم مصطفى فأذكر انني قرات له فيما بعد كتابه النفيس « احياء النحو » ، وهو طراز نموذجي في الوضوح فيما يتعلق ببعض فصول القواعد العربية الاكثر اختلافا ، مثل : (معاني الاعراب ، واصل الاعراب) . وخلاصة القول ان مقدرة ابراهيم مصطفى الفريدة في تبسيط المشاكل العسيرة ، وحل القضايا المعقدة بالعديد من الامثلة ، وتسهيل اي تعقيد ممكن في النص ، قد تجلت في الدروس الاولى التي القاها . وكانت مزيته الخاصة هذه تعني بوضوح احاطته التامة بمادته ، ومعرفته الواسعة بجميع التراث العربي في الصرف والنحو ، بمدارسهما المختلفة (ولا سيما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة) وفي نموه مع الزمن .

ربما كانت المادة غير مقبولة لدى الجميع ، وكانت تبدو لبعض الطلاب عسيرة الهضم ، غير ان الاستاذ – وهو العليم بجفاف الموضوع – كان يعرف كيف يجعله سهل الهضم حتى على اكثر الناس حساسية ورهافة . واذكر ، كما لو كان اليوم ، مزاياه هذه ، واذكر معها لفظه العميق والحلقي لبعض الحروف الهجائية العربية : كانت حروف (العين ، والغين ، والقاف ، والضاد) في فمه تختلف عنها في افواه غيره من الناطقين بالضاد . كانت نبراتها شديدة الوضوح ، حادة . وكانت تنفجر – ولكن دون ان تؤذي السمع – من اعماق الحلق ، وسقف الفم . وكنت اعجب بلفظه لهذه الحروف ، وقد حاولت تقليده ، ولكن النتيجة كانت اخراج اصوات مضحكة ، لا صلة لها باللفظ العربي السليم .

ولم يكن اهتمامي مقتصرا ، بطبيعة الحال ، على الدروس الادبية واللغوية وحدها ، بل كان يمتد ايضا الى الحقل الديني – الى الاسلام – . ومن اجل ذلك عولت على حضور دروس التأويل القرآني التي كان يلقيها الاستاذ امين الخولي . وكان هذا العلامة يعرف اللغة الايطالية معرفة جيدة – كما لعل البعض منكم يعلمون – وقد درسها خلال الاعوام التي عمل فيها اماما في السفارة المصرية في روما . تلك الفترة كانت هي التي بدات فيها اهتم ، الى جانب المدنية العربية القديمة والمتوسطة ، بالقومية العربية الحديثة المعاصرة ، وبالتيارات الجديدة التي كان يتبعها بعض الباحثين والعلماء المسلمين في حقل التأويل القرآني . وكان امين الخولي ، كما تعلمون ، من دعائم المدرسة الحديثة بالنسبة الى المدرسة التقليدية ، فقد اقتنع بأن النهضة الفكرية في مصر – كما في سائر البلدان العربية الاخرى الطامحة الى التقدم – كان لا بد لها من احتضان الحقل الديني ايضا .

ولست بحاجة ، في الواقع ، الى ان اذكر لكم ان الحركة التي خلقها امين الخولي قد واجهت كثيرا من المقاومة ، واثارت جدلا محموما ، بلغ مداه الحاسم والمؤسف حين قام احد تلاميذه ، وهو « محمد احمد خلف الله » ، بعد نحو عشر سنوات من ذكرياتي هذه ، باعداد اطروحة للدكتوراه تحت اشراف ذلك الاستاذ ، عنوانها « من اسرار الاعجاز » ، اراد فيها ان يدرس موضوع الاعجاز في القرآن في ضوء اساليب النقد الادبي الغربية ، وفقا لارشادات امين الخولي .

لقد اردت ان اذكر المستمعين الكرام بهذه التفاصيل القليلة ، التي لا يجهلها البعض منكم ، لكي ابرر الرغبة التي كانت تخالجني في متابعة دروس الاستاذ امين الخولي ، وقد كان يحضرها عدد مرموق من الطلبة ، وربما لم يكن بعضهم على اتفاق مع الاسلوب الجديد في التأويل القرآني الذي يمارسه الاستاذ .

كانت لتلك الدروس لذتها الكثيرة ، وفيها شيء من الثورة ، وخروج على الاسلوب التقليدي ، ولا سيما في تقييم الصفة الادبية للقصص القرآني ، اذ كانت تفحص منها : الاسلوب ، والايقاع ، والتناغم الداخلي في الجملة، وكذلك اللحظة النفسية ، ولعبة الاحاسيس في مختلف الفقرات القصصية ، وشحنتها العاطفية . وكان امين الخولي ، طبعا ، يشير الى التعليقات القرآنية العديدة ، ولا سيما تلك التي اوردها الطبري والرازي ، والى تعليقات « المنار » الحديثة ، مبينا ان التقدم المستمر في حقول النقد الادبي ، يجعل الباحث في وضع يستطيع معه ان يجري تقييما افضل واكمل للقصص الوارد في بعض سور القرآن الكريم .

وحين قرات بعدئذ كتاب خلف الله « الفن القصصي في القرآن الكريم » اتضح لي ان هذا التلميذ لم يكتف بالسير على اسلوب الاستاذ ، بل استطاع ان يطوره تطويرا كبيرا ، وان يتوصل بذلك الى نتائج اكثر من مرضية ، وان لم تجد قبولا لدى الجميع . ولست اعرف تماما ما هو الوضع الحالي بالنسبة الى دراسات التأويل القرآني في العالم الاسلامي ، ولا الوضع الذي وصل اليه المهتمون بهذه الدراسات في مصر ، ولكنني ارى ان الحركة التي خلقها امين الخولي ، قبل ربع قرن ، قد توقفت ،

وربما كان ذلك بسبب صعوبة حمل الآخرين على قبول رسائل لا تتفق مباشرة مع التقاليد الاسلامية .

في عام ١٩٤٠ اضطرتني الظروف الحربية على مغادرة مصر ، والعودة الى ايطاليا . غير ان المقادير شاءت ان اعود الى كلية الآداب عينها ، في جامعة القاهرة ، عام ١٩٤٩ ، وان ابقى فيها عشر سنوات : « استاذا زائرا » في البداية في قسم التاريخ ، ثم استاذا للغة الايطالية . كان قد توفي بعض اساتذتي الاولين ، واحيل بعضهم على المعاش ، وتولى آخرون اماكنهم . وهكذا ارتبطت بصداقات مع زملاء آخرين ، منهم : شوقي ضيف ، السقا ، حسين كامل ، زكي حسن ، ابراهيم عبده ، مراد كامل ، وغيرهم ، وكلهم من اعلام الباحثين . وكانوا كلهم كرماء معي في تقديم العون والمشورة في ابحاثي في تاريخ المسلمين في صقلية .

ومن خارج الجامعة كانت مساعدة فؤاد السيد ، مدير شعبة المخطوطات في دار الكتب المصرية ، ثمينة جدا عندي ، وقد كان لي معه لقاآن كل اسبوع في غرفته المتواضعة في تلك المكتبة ، وما بين قدح شاي وآخر كنا نتطارح الحديث حول ابحاثنا ، وكنت انا في الغالب من يصغي ويتعلم ، ويكتشف ، شيئا فشيئا ـ باشراف الباحث الذي لا ينسى فضله ـ الاسرار اللذيذة لذلك الفن : فن الدرس ، والتقييم ، والتصنيف للمخطوط العربي .

ومثل فؤاد السيد في العلم والمقدرة في الحقل عينه، كان كذلك زميله رشاد عبد المطلب ، في قسم المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية . وكان دائما على استعداد لتزويدي باسماء المراجع التي تفيدني في دراساتي .

وكذلك كان حسن ابراهيم استاذا لي وصديقا ، وكان رئيسي المباشر في قسم التاريخ في كلية الآداب ، الذي كان هو رئيسه . ولن تمحي من ذاكرتي حلاوة ذلك الرجل وتواضعه ومودته ، كما لن يمحي من ذاكرتي كرمه وحسن ضيافته : ففي شقته الحفية في الجيزة ، التي كانت تمتلىء بلطف زوجته وولديه ، كنت اتلقى الدعوة للغداء كل اسبوع ، ولتناول اشهى الاطعمة الشرقية ، وفي مقدمتها (الملوخية) التي ما ازال الى اليوم اتناولها في نهم . وبعد القهوة ـ وهي شرقية كذلك بطبيعة الحال ـ كنا نمضي على الاقدام الى الجامعة للدروس المسائية : دروسه في التاريخ ، ودروسي في المصادر العربية لتاريخ المسلمين في صقلية .

ولم تذهب دروسي تلك عبثا ، فان بعض الشبان من طلاب ذلك الحين قد مالوا الى ذلك الفرع الخاص من الدروس ، واخص بالذكر منهم : احسان عباس ، الذي كثيرا ما التقي به في بيروت (حيث يعمل استاذا في الجامعة الاميركية) ، والذي لم يلبث ان اثبت ان اهتمامه بالدروس التي غرستها انا لم يضعف ، فقد اصدر كتابه « العرب في صقلية » ، كما اصدر طبعة جديدة من « ديوان ابن حمديس » .

كل اولئك الاساتذة ، والزملاء ، والطلاب الذين ارتبط بهم شبابي ، وبقي غير قليل منهم اصدقاء لي حتى كهولتي الحاضرة ، التقي بهم احيانا في رحلاتي العديدة في البلدان العربية ، او في مناسبات بعض المؤتمرات والندوات ، فيطيب لنا عندئذ ان نتذكر الاوقات السعيدة التي كانت لنا في السنين الماضية ، وكل منا يستعيد ذكرياته ، فنعجز جميعا عن التغلب بسهولة على الغبطة التي تستولي علينا في خريف العمر ، لتذكارات ربيعنا المشرق .

ولكن ذكرياتي هذه لن تكون كاملة اذا انا لم اشر الى اثنين آخرين عزيزين جدا من اصدقائي المصريين ، غابا في ظروف متشابهة تقريبا : أي ان كلا منهما قضى في مدى اسابيع قليلة من غياب زوجته . واعني بهما : فؤاد السيد ، وحسن عثمان .

خلا اقامتي في مصر ما بين عامي ١٩٤٩ ، و١٩٥٩ ، كان من عادتي ان اذهب مرتين او ثلاث مرات كل اسبوع الى دار الكتب للتنقيب في المراجع . غير انني قبل الجلوس الى طاولة العمل كنت احس بحاجتي الى القاء تحية الصباح الحارة « صباح الخير » ، على صديقي فؤاد السيد ـ كما ذكرت من قبل ـ وكان يدعوني الى تناول قدح شاي في مكتبه ، وهو عبارة عن غرفة صغيرة متواضعة ، مساحتها امتار قليلة مربعة ، كانت هي المعبر الذي اجتازه ، على مدى سنين عديدة ، كبار المستعربين والمهتمين بالدراسات الاسلامية من الغربيين : من ماسينيون ، الى كوينتس ، ومن الاب قنواتي الى غاستون وايت ، وكلهم في اشد الحاجة الى استشارة فؤاد السيد حول هذا المخطوط او ذاك ، والى اخذ المعلومات حول قوانين معينة . ولم يكن يخرج احد من تلك الغرفة دون ان يفوز بطلبته ، ودون ان يستولي عليه الاعجاب بالمعرفة غير المحدودة التي كان يتحلى بها ذلك العلامة المتواضع في حقل المخطوطات . ولكم استفدت انا ايضا من ارشاداته، ومن خبرته غير المألوفة ، ومقدرته على الخوض في حقل ذلك الانتاج الفكري غير المطبوع .

وكم من مرة كان ذلك الصديق العزيز ، فؤاد ، بين قدح شاي وآخر ، او وهو يتناول رغيف العيش مع الطعمية ، يعينني على حل هذه المشكلة او تلك ، والتغلب على احدى الصعوبات ! وكمكافأة متواضعة مني لجهوده تلك ، كنت اتطوع لمساعدته في ترجمة بعض النصوص المكتوبة بلغات اوروبية يجهلها الى العربية ، ولا سيما حين كان يعد طبعة « ابن جلجل » ، التي انهاها بطريقة مثالية .

وفي القاهرة ، في شهر مارس ـ اذار عام ١٩٦٩ ، وبمناسبة انعقاد مهرجان الاحتفال الالفي للمدينة ، لقيت ابنه الاكبر ، ايمن (الذي لا بد انه قد تخرج الآن في كلية

الآداب في جامعة القاهرة) . وقد تحدثت طويــلا مـع الشاب ، وتذكرنا معا المرحوم والده . ومن ذلك الحديث اقتنعت بأن مزايا الجد العلمـي عينهـا ، والتواضع ، والحلاوة التي كانت مـن اخص خصائص شخصية فؤاد السيد ، قد انتقلت الى ابنه . وهذه تحية صادقة مـن صديقه الوفي ، المستعرب الايطالي الذي ظل سنين عديدة يغترف من معين صداقته وعلمه ، ولا يزال الى اليـوم يذكر ، بتأثر عميق ، انقطاعه الـى دروسه وابحاثـه المفضلة ، والتصاقه النموذجي بأسرته .

اما حسن عثمان فقد ارتبطت معه بصداقة حميمة مدى اربعين سنة ، منذ ان كنا نواظب علـى الدراسة في كلية الآداب في جامعة روما ، وكان هو يتخصص في الادب الايطالي ، وانا في اللغة العربية وآدابها. وكما هو طبيعي، كان كل من الطالبين الشابين في حاجة الى معونة الآخر : احدهما لكي يفهم شيئا من اسرار اللغة العربية الكثيرة ، والثاني من اجل تفسير ابيـات عسيرة مـن الكوميديا الالهية ، لدانتي اليغييري .

والواقع ان حسن عثمان كان منذ ذلك الحين عاشقا للملهاة الدانتية ، وبعدئذ كرس حياته كلها لترجمة تلـك القمة الشامخة من قمم الادب الايطالي . واليوم اصبـح العالم العربي المثقف ، بفضل ذلك الاديب الكبير ، الذي غاب منذ شهور قليلـة ، يستطيع ان يقـرأ في لغتـه الخاصة : الجحيم ، والمطهر ، والفردوس ، ومن قبـل كان يضطر الى اللجـوء الـى الترجمات الانجليزيـة والفرنسية .

ولعل الكثيرين لا يعلمون مدى الصعاب التي كـان على حسن عثمان ان يجتازها للفراغ مـن هذا العمل ، الذي يحق لمصر اليوم ان تباهي به وتعتز . لقـد سبقت كل نشيد خلاصة كان الغرض منها ايضاح المحتوى . وقد غنيت بمئـات الشروح التاريخيـة ، والفلسفيـة ، واللاهوتية ، وغيرها . والخلاصة ، ان الترجمـة جاءت منجما حقيقيا مليئا بالايضاحات والانارات التي لولاها لكان من المستحيل فهم الكوميديا الالهية : عمل مضن انجزه المترجم بشغف ودقة مثاليين، فلقد كان يهيم حبا بدانتي، ويتمثل بشعره في كل حين ، ويبرز جماله في كل مناسبة، حتى انه حين نقل الي نبـأ النهايـة الفاجعة لزوجته المرحومة احسان ، اورد لي في رسالته ثلاثيات مـن شعر دانتي تتناسب مع وصفه الاليم .

ولقد نال حسن عثمـان ايضا ، بايعاز منـي ، الدكتوراه الفخرية مـن كليـة الآداب في جامعة باليرمو ، اعترافا بفضله الكبير في حقل الادب الايطالي ، الذي كان يعتبره قليل الشهرة لدى مواطنيه . وفي هـذه المناسبة كتب في كتابه عن سافونارولا ما يلي :

(النص العربي)

فالى ذلك الصديق الأديب مودتي التـي لا تمحى ، مع امنيتي ان يقوم على غراره شبان باحثـون آخرون ، يستطيعون ان يهتموا بتعريف العالـم العربـي بالادب الايطالي لكل العصور ، كما يفعل اليـوم الاديب الاردني عيسى الناعوري بغيرة ومقدرة .

ايها المستمعون الكرام !

ان علي لدينا لجميع الاساتـذة الذيـن اردت ان اذكرهم في هذه العجالة عن عهد حداثتي ، وللعديدين من الزملاء والاصدقاء الذين اغنوا ، وما يزالون يغنون حياتي كانسان وباحث بمشاعرهم الطيبة . لهم علي دين مـن التقدير والعرفان ارجو ان اكون قد وفيتهم بعضه ، ومن الاخلاص الذي لم تستطع الايام ، ولن تستطيع ، اضعافه ولا التقليل منه .

باليرمو ـ ايطاليا

اومبرتو ريتستانو

حــلم

أضاءت
فقلت يكـاد الصباح
يطل على الجنة المرعه
وتجري الريـاح
رخاء كما تشتهي الاشرعه
وظلـت
أراقب فجر الحياة
واصغي الى همسة الساقيه
وأسالها عن بقايا عطاش
قضوا ليلهم في رؤى مفزعه
وصحت
ألا نجمة تستفيق ؟
ألا ومضة من سنا عابر
أنمضي كما تخفق الزهرات
وتذوي على جرحنا الناغر ؟
وجاءت
من البلبل ريح العذاب
تعانق ريح الردى العاتيه
ولـما صحوت
رأيت الربيع
رأيت الندى
واحـة خاويه

جامعة الكويت

احمد مطلوب

العرق البارد يتكون قطرات على جبيني ، فتسيل منحدرة ، وتحرق بملوحتها عيني ، ولساني الذي يمتد من فمي ليتحسس شفتي الجافتين ...

شعرت بثقل في جيوبي ، يكاد يزن طنا ، ويسمرني في مكاني .. ثقل صندوقي الحلويات الصغيرين اللذين لا يزن كل واحد منهما اكثر من ربع كيلو غرام .. صندوقان من الورق المقوى يحويان بعض قطع من الحلوى ، دسست كلا منهما في جيبي بدلتي المهترئة ، بعد ان تظاهرت بأني اود شراءهما ، حملتهما بيدي وقلبتهما ، انهما صغيران خفيفان يمكن لي ان اخفيهما بسرعة.

نظرت يمينا ويسارا ، لن يتفطن لفعلتي احد .. انواع السلع والمآكل والملابس مصفوفة بحذق ومهارة في المغازة الكبيرة، والمشترون كثيرون يقلبون المشتريات ويضعونها في السلل التابعة للمغازة ، ثم يتوجهون ليدفعوا ثمن المشتريات للقسم المختص ، وبعد ذلك يفرغونها في سللهم الخاصة ، ويخرجون من باب المغازة الكبير ، وبصفة ادق من احد ابوابها الكبيرة المتعددة ...

اشياء كثيرة تنتقل من سلل المغازة الى سلال المبتاعين ، والمال ينتقل من يد الى يد .. انا لا سلة لي ولا مال ، ولا اهتم بجمال البضائع والملابس المعروضة .. عيناي ومشاعري كلها متجهة الى اقسام المآكل والفواكه ... رأسي تدور ، ركبتاي ترتعشان من آلام الجوع المهين ، وليس هناك من احد يرحم الجائع المسكين ...

كل هؤلاء منكبون على الشراء ، يحتارون امام كثرة الانواع .. المال في جيوبهم يستطيعون بواسطته ان يفعلوا ما يشاءون ، وان يقلبوا البضاعة بدون اي خوف او وجل من الانظار ، لينتقوا ما يحلو لهم ... وانا لكم تمسكت بجراة لا حد لها وتشجعت ، حتى استطعت ان ادس الصندوقين في جيوبي ...

طبعا ، علي ان لا اتجه الى القسم المختص لدفع الاثمان ، علي ان اعود من احد الابواب .. كل داخل للمغازة حر في ان يخرج بدون ان يشتري اي شيء ... ها هي ذي السلة التي حملتها لدى دخولي فارغة ، انا لم اجد الشيء الذي اردت شراءه لو سألوني ... الصندوقان مختفيان لا يلفتان النظر ، لا خوف علي اذن ...

انتم يا اصحاب الاموال ، تشترون وتتنعمون بأطايب المآكل والحاجيات .. لا عيون لكم ترى حال امثالي ، ممن يضنيهم الجوع ، ولا يجدون حتى الخبز الجاف



بقلم ناجية ثامر

يقتاتون به ، ولا لباسا لائقا يغطي اجسامهم المرتعشة بفعل البرد القارس ...

انا يتيم ، ليس لي ابوان يحنان علي .. عمي هو الذي ادخلني الى منزله وآواني ، ليجعل مني خادما لابنائه . انا اشتري من الاسواق ، واغسل الاطباق ، واعتني بالحديقة والكلب ، واسخن لابناء عمي الماء ليغسلوا اقدامهم قبل الرقاد ، ثم اغسل رجلي بعدهم ، وعلي ان البي طلباتهم ، هذا يطلب كأسا من الماء ، وذاك يأمرني ان اخرج لشراء قلم او مسطرة او حلوى ، والثالث وهو الاصغر يطلب مني ان الاعبه وان احمله على ظهري ، وان اثغو كالحمل ...



لم اتمكن من النجاح في دراستي، اذ لم يكن في امكاني ان اراجع دروسي بعد عودتي من المدرسة ، فطردت لرسوبي عامين متواليين ، قبل ان اتعلم القراءة والكتابة والحسابيات ، وكنت قد ادخلت المدرسة متأخرا ، وحين بلغت الخامسة عشرة من عمري ، فتحت امراة عمي الباب على مصراعيه وصاحت بي : لقد اصبحت الآن رجلا ، تحملناك عدة سنين طويلة وانفقنا عليك رغم عدم نجاحك في الدراسة . لا تعد الى هذا المنزل الا بعد ان تجد عملا . عمك لم يعد في مقدوره ان يتحمل تكاليف عيشك..

تكاليف عيشي ؟ انا آكل بقايا الاطعمة ، والبس ملابس ابناء عمي القديمة ، والبي طلبات الجميع بدون اعتراض ... ولكن الى اين اذهب ؟ واين سأرقد وكيف سأقتات ؟ هذا لم يهم امراة عمي ولم تفكر فيه ابدا . والذي ترتئيه هي ، لا يستطيع عمي ان يعاكسها فيه ، والا فان القيامة تقوم في المنزل ، وكثيرا ما تترك الدار غاضبة للذهاب الى اهلها الذين هم على جانب من اليسار ...

قبل ان ابارح المنزل ، ناولتني صرة ثيابي ودينارين اثنين وقالت : ها انذا امنحك بعض المال صدقة مني ليراف الله باولادي . تستطيع بهذين الدينارين ان تعيش حتى تجد عملا ، واذ ذاك يمكنك ان تعود الى منزلنا . اذا بقيت عاطلا عن العمل فاياك اياك ان تفكر بالرجوع الى هنا .

وجدت في احد النزل الشعبية فراشا في غرفة يتقاسمها ستة اشخاص لقاء مبلغ ضئيل ، واخذت اقتصد جهدي حتى احتفظ ببعض المال ، فلا اتناول الا قطعة من الخبز

وحبات من الزيتون . حاولت ان احسب حساب كل مليم من الملاليم، وان لا انفقه عبثا حتى اجد عملا ، ولكن الدينارين انفقا رغم حرصي الشديد ، ولم اجد اي عمل كان..

انجدني العمال الذين شاركتهم الغرفة ببعض الملاليم ، ثم كفوا ايديهم عني . هناك اشخاص كثيرون اكبر مني سنا واغزر علما جاءوا ليفتشوا عن العمل مثلي من اماكن قصية ، ثم رجعوا بعد ان خاب املهم في تكوين حياة افضل ...

بقيت ثلاثة ايام بدون ان ادفع الكراء ، رغم ضآلته ، خمسين مليما في اليوم ، لان الغرفة خالية من الاسرة والماء والاغطية ، ليس هناك الا افرشة محشية بالتبن . على اية حال ، هناك السقف الذي يحمي من تقلبات الطقس ، والفراش الذي يسمح للجسم بعدم افتراش الوطاء ... وكان ان طردني صاحب النزل بعد ان استولى على صرة ثيابي في مقابل دفع الكراء .

تشردت مدة ثلاثة ايام .. رقدت في العراء ، وتهرات بدلتي القديمة ، وتمزق حذائي ، واتسخت بشرتي ، وفي اليوم الرابع لم اجد صبرا على الجوع ، فمددت يدي للتسول ...

وقفت في احد اركان الشارع العريض مادا يدي ... المارون يعبرون الشارع ويجتازون الرصيف، ولا يلتفتون الي ... اخذت اردد : من مال الله يا راحمين الجائعين ، يا احباب ربنا المتصدقين .. لا احد يرحم ولا يتصدق .. بل هناك من

يلوم : اللهم لطفك ، شاب في مثل هذا العمر مكتمل الصحة والعافية يتسول بدلا من ان يعمل ؟..

طرقت جميع الابواب .. ابواب المقاهي والمتاجر والمزارع ، ولم اتلق الا جوابا واحدا : لا محل شاغر الآن ... ولكن الى متى سأنتظر ؟.. البدلة ستتمزق على جلدي ، وبطني تئن من آلام الجوع القاسي ، وقواي تخور شيئا فشيئا . لم اجمع سوى ثلاثين مليما في آخر النهار اشتريت بها فطيرة مقلية ، لا تكاد تكفي لاشباع طفل في الشهر الثالث من عمره .. لم تسد جوعي ولم تهفت آلام معدتي النائحة ...

حين دخلت المغازة ، لم يكن قصدي السرقة ، كنت ابحث عن عمل ، وامد يدي لاتسول خفية عن اصحاب المغازة ، ولكن بدون طائل ... كل هذه المشتريات لا يعطونني منها شيئا .. كلها ستذهب الى بطونهم ، ولن اتحصل حتى على ما سيطرح منها بعد تنظيفها ...

حين وقفت امام صناديق الحلوى الملونة لم اع ما افعل ... كل ما كنت ادركه هو انني سأستطيع ان اسكت بها جوعي بعض الشيء ، وسأقوم بمثل هذه المحاولة يوميا حتى اجد ما اعمل ...

ولكن ها هي يد تمتد الي وتقبض بشدة وعنف على ساعدي :

هيا سر امامي ولا تحاول الهرب ... الهرب الى اين ؟

دخلت الى غرفة فيها مكتب يتصدره رجل مشغول بالكتابة وفتاتان ترقنان على الآلة الكاتبة .. ليتني كنت اعرف الرقن مثلهما ، لكنت وجدت عملا ..

الصوت الاجش : هذا الفتى الضال سرق صندوقين من الحلوى، وحاول الهرب بدون ان يدفع الثمن .. ضبطته محاولا الافلات من باب الخروج. مد يده واخرج الصندوقين من جيوبي ..

ــ اين تذكرة الدفع ؟ الا تستحي الا تخجل ؟.. كنت بجانبك اتظاهر بالشراء مثلك ، ولاحظت فعلتك المشينة .. بدلا من وضع الصندوقين في سلة المغازة ، اخفيتهما في جيبيك .. انا رجل شرطي سري ، اراقب الشارين لاقبض على السارقين امثالك .

انت الآن ستحاكم وستدخل السجن ... الصندوقان الملونان على المكتب .

سأدخل الحبس بسببهما ... انا مستعد على دخول الحبس من اجل صندوق واحد ، لا صندوقين اذا لزم الامر ...

اسمع صوت امراة عمي الحاد : ارايت كم فعلت حسنا بطرد هذا الفتى الخامل ؟ لقد اصبح سارقا ودخل السجن .. لو بقي هنا لاثر باخلاقه المنحطة على اولادك .. انا سأدخل السجن من اجل صندوقين من الحلوى ، بدون ان اذوق حتى قطعة واحدة مما فيهما !..

بسرعة ، مددت يدي ، ومزقت الورق المقوى ، واخذت التهم القطع الواحدة تلو الاخرى بلذة ونهم .. اكملت ما في الصندوق الاول ومزقت غطاء الثاني وبقيت ابلع بلعا .. بدون مضغ .. اذا كنت سأدخل السجن فعلى الاقل يجب ان استغل ما سرقت واسكت به جوعي الذي يكاد يفقدني صوابي ، وبصداع يضغط على راسي بكلابة حديدية..

لا تنظروا الي بدهشة هكذا ... كنت افتش عن باب للخلاص وها قد وجدتموه انتم لي ... انا لم اعد استطيع الصبر على الجوع .. انا مستعد على ارتكاب اي شيء لآكل. في السجن يمكنني ان اجد المأوى والماء ، وان آكل واشرب ...

انتم انفسكم وجدتم لي المهرب..

(انا لن افتش عن اي عذر لتخفيف العقاب عني ، لان امنيتي الآن ان يطول بقائي في سجنكم ، فشكرا لكم شكرا !..)

ناجية ثامر — **باردو ــ تونس**

بائع الصبار

جعل الرصيف من الشوارع متجرا   وأقام يكدح يومه متعثرا
أطباقه دون الرصيف تبعثرت   كغمائم لا تستقر تحيرا
زخرت صحائفه بكل عجيبة   من أخضر كاللازورد وأصفرا
وتكتب الصبار شبه كتائب   متجمعا كشواقب ومبعثرا
وتألقت ألوانه لنواظر   من دونه عرضت ، فخيلت جوهرا
وله من الاشواك نثرة محرب   كانت تقيه أذى وخطبا أكدرا
خاف اللصوص شباته فتعففوا   كرها ولولا الخوف لاعتنقوا الذرى
قبضوا على كره يدا حذر الاذى   من ذا يعانق او يصافح مجمرا

لم ألق مغبونا كبائعها الذي   حمل الجراح ولم يفض تكبرا
خضبت أصابعه بنزف جراحه   وتراه يبسم للاذى مستهترا
ألفت أصابعه الشقاء ولم تعد   تشكو العذاب على الزمان تضورا
وأقام حول (الفرش) يجثم قابعا   (كالفرش) لا يدنو ويعدو القهقرى
أو أنه رسم تسمر ساكنا   لا يشتكي حرا ولا بردا عرى
ويدير عينا بالسهاد تكحلت   أجفانها والطير تنعم بالكرى
يرنو وقد خاط النعاس جفونه   والليل يعدو في الفضاء مشمرا
ويظل ينظر في البعيد كأنه   يستطلع الغيب الخفي ولا يرى

صباره ما كان أعجب أمره   لما تأشب بالاذى وتسورا
ابر له تحكي الوشيج ضراوة   نظمت له درعا وقامت مغفرا
ما كان بدعا ان شجت اشواكه   والشهد بالغالي يحاز ويشترى
وبذوره عدد النجوم ، كثيرة   لو رحت تحصيها لضقت تحيرا
البزر في الاثمار يطرح جانبا   ويعاف من زهد ويطرح للثرى
والبزر في الصبار يؤكل عن رضا   ويطيب طعما في الحلوق ومنظرا
أوراقه غلظت وجل دقيقها   كركام ليل مطبق فوق الذرى
أو أنها ترس الكمي تضاعفت   حلقاته بصفائح لن تكسرا

وكان بائعها المقيم على الاذى   دنف أضر به الغرام وغيرا
تلقاه أمسك موسه بيمينه   وكأنه الجراح راح مظفرا
يفري ويقطع واثقا متثبتا   لا هائبا قلقا ولا متحيرا
ما انفك كالجزار يكشط بالمدى   جلدا على الصبار راح مسمرا
حتى غدا صباره متعريا   وهو الذي ادرع الاسنة مئزرا
وترى أكف الناس مدت نحوه   بضراعة العافي الذي نشد القرى
وتراه لا يثني يدا عن سائل   وافاه يوما او يشيح تكبرا

دمشق   عدنان مردم بك



عبد الرزاق الهلالي

من شعراء العراق

الحاج عبد الحسين الازري

١٢٩٨ هـ — ١٣٧٤ هـ

١٨٨٠ م — ١٩٥٤ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

يعتبر المرحوم الحاج عبد الحسين الازري ، في الطليعة من شعراء العراق الذين كان لهم صوت مدو خلال الاحداث التي مرت على العراق والامة العربية ، منذ ان وقع الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م حتى آخر لحظة من حياته . ولقد كاد هذا الشاعر الكبير ان يظل مجهولا من قبل كثير من القراء ، لولا ما كتبه عنه الاديب الاستاذ عبد الله الجبوري في كتابه الموسوم بـ « من شعرائنا المنسيين » الذي صدر في بغداد سنة ١٩٦٦ .

ولما كنا نعتقد ان كثيرا من اخواننا في الوطن العربي الكبير لم يعرفوا عن هذا الشاعر شيئا ، فها نحن اولاء ، نقدم لهم هذه النبذة عن حياته وعن شعره وادبه ، وفق ما يأتي :

آل الازري : آل الازري ، عائلة بغدادية عربية عريقة ، نبغ منها شعراء ، كان اشهرهم الشاعر الكبير المرحوم الشيخ كاظم الازري . وقد حدث خلاف بين من درسوا شاعرنا المترجم له « الحاج عبد الحسين » حول صلته النسبية بالشيخ كاظم الازري وعائلته . فالمرحوم الشيخ علي الشرقي يوكد اتصال نسبه بآل الازري ، بينما المرحوم عباس العزاوي يرى ان اتصاله بآل الازري، كان عن طريق (البنات) ، في حين يقول المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر « ان اسرة الازري القديمة هي غير (آل الازري) الذين نشأ منهم الشاعر الكبير الحاج عبد الحسين ، فانهم من قبيلة تغلب عليهم هذا الاسم » .

ومهما يكن من امر وسواء كان الشاعر متصل النسب بآل الازري او جاءه اللقب عن طريق البنات ، فقد حمل هو وعائلته من بعده هذا اللقب وبه اشتهروا .

ولادة ونشأة : ولد عبد الحسين في شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م ، فلما بلغ مبلغ الصبيان ادخله والده الحاج يوسف احد الكتاتيب ، فلما انهى دراسته فيه ، ادخله مدرسة « الشيخ شكر » القائمة آنذاك في محلة « صبابيغ الآل » ، احدى محلات بغداد المعروفة في جانب الرصافة . وفي هذه المدرسة الدينية ، راح يتلقى بعض العلوم الدينية والعربية . فلما تخرج فيها بعد حين ، مال الى الشعر ، فعكف على قراءة دواوين كبار الشعراء ، وفي مقدمتهم ديوان الشريف الرضي . وبسبب هذا الميل وتلك الدراسة ، اخذ يمارس نظم الشعر وهو في سن الرابعة عشرة .

الصحفي الشاب : ولما اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م ، ورفع الحجر عن الحريات ، شاء شاعرنا الشاب ، ان ينخرط في ميدان العمل الصحفي ، اعتقادا منه باهمية الصحافة في مجال الخدمة العامة . فأصدر يوم ٢٢ حزيران سنة ١٩٠٩) اول عدد من جريدته التي اسماها « الروضة » . وقد استمر على اصدارها بانتظام مدة تقرب من السنة ثم عطلتها الحكومة . فسارع بعد ذلك باصدار جريدة اخرى ، سماها « مصباح الشرق » اذ صدر عددها الاول يوم (١ — ٨ — ١٩١٠) وفي هذه الجريدة زاد نشاطه السياسي ، فقد ساهمت جريدته هذه مساهمة قوية في خدمة القضية العربية ، لكن هذه الجريدة عطلت بعد سنة ايضا . وعلى الرغم من هذا التعطيل ، فان الازري ، لم تثبط همته ، بل سارع فاصدر جريدته الثالثة التي اسماها « المصباح الاغر » التي برز عددها الاول يوم ١٤ — ١١ — ١٩١١ ، وقد ظلت هذه الجريدة تصدر بانتظام حتى اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى ، اذ عطلتها السلطة بعد ذلك، ونفته مع من نفت من العراقيين الى مدينة « قيسرين » في الاناضول ، لنشاطه السياسي في حقل العمل القومي !

نشاط سياسي : لما قامت الحياة الحزبية في البلاد العثمانية ، وتألف « حزب الاتحاد والترقي » وقام لمعارضته « حزب الائتلاف » انتمى شاعرنا الى هذا الحزب ، واخذ يعمل على مناصرته ضد الاتحاديين . الا انه لما كان من المؤمنين بالقضية العربية ، فانه حين قام « حزب اللامركزية » العربي ، في بيروت ، وانشأ له

فروعا في انحاء البلاد العربيـــة ، سارع بالانتماء اليه ، وجعل من جريدته « المصباح الاغـر » منبـرا للتبشير بمبادئه ، فتجاه نشاطه السياسي هذا ، أخذت السلطة تراقبه ، فلما نشر تفاصيل اغتيال والي البصرة « فريد نوري » سارعت باتهامه بالاشتراك مع قتلة هذا الوالي ، فسيق للمحاكمة ، وحكم عليه بغرامة ، وعطلت جريدتـه وصودرت مطبعته ، ونفي ، كما ذكرنا الى « قيسرين ».

ومن الجدير بالاشارة هنا ، هو انه عندما كان فـي هذا المنفى ، لم يشأ ان يضع وقته سدى ، بل الزم نفسه فيه على تعلم اللغة الفرنسية ، فأتقنها جيدا ، وقد انعكس هذا التعلم في شعره وكتاباته ومـــا ألف مـــن قصص وروايات !

في ميدان الخدمة العامة : ولما عاد الى وطنه الذي بات تحت ظل الاحتلال البريطاني ، آلمه هـــذا المآل ، فسارع للعمل مع اخوانه الوطنيين للتخلص مـــن هـــذا الوضع ، وشارك في ثورة العشرين ، ثم لمـا قامت الدولة العراقية الجديدة انصرف الى العمل في التجارة الا انـه لم يكن يبتعد عن الاسهام في المناسبات الوطنية والقومية بما كان ينظم من قصائد وما يلقي مـن شعر . وقـد ظل سائرا في الخط الوطني حتى آخر لحظة من حياته .

آخر الصفحات : وهكذا وفي مساء يوم (١٧ ـ ١٢ـ ١٩٥٤) انطفأت شعلة حياة هذا الشاعر الكبير ، وله من العمر (٧٤) عاما .

الازري الشاعر : لقد نشأ الازري ، وترعرع ، كمـا رأينا ، في زمن كثرت فيه الثورات ، والانتفاضات ، على النظم السياسية والاجتماعية وعلـى العادات والتقاليد ، فليس عجيبا ان يجيء شعره ، مصورا لما تأثر بـه خلال هذه الاحداث !

وحين كتب الشاعر المرحوم الشيخ علـي الشرقي ، كلمة بمناسبة وفاة صديقه الازري تحدث فيها عـن مزايا شعره قائلا : « اما مزايا شعره ، فهو اقليمي في فنـه ، انساني في نزعته ، قومي في اهدافه ! وبما انه ترعرع في احضان الثورات والانتفاضات ، فقد كان يكثر في شعره ، النقد اللاذع ، وتصطبغ قصائده احيانـا باللون القاتم ، وقد جعله اتقانه اللغة الفرنسية ، يجيد مـــن الشعر الخيالي ويبدع في الاسلوب القصصي » !

ديوان الشاعر : ولعل القاريء يسأل ، ان كـــان لهذا الشاعر الكبير ديوان مطبوع ام لا ؟ فنقول كلا ، لـم يطبع ديوانه بعد ، على الرغم من كونه (رحمه الله) قـد اعده للطبع قبيل وفاته ، ولا نـــدري اين أصبح هـــذا الديوان اليوم ؟!

هذا ولما كان المرحوم الشيخ علي الشرقي هو الذي نبهنا الى ما كان للفقيد من رغبة في طبع ديوانه حين كتب مقاله الموسوم بـ « الاستاذ الازري الكبير » في عدد مجلـة العرفان الصادر في شهر اذار من سنة ١٩٥٥م . فاننـــا نجتزيء منه ، بعض ما قاله عـــن هذا الديوان في مقاله وهو قوله :

« كنت انا والفقيد الغالي ، نختلف عـــلى تلعة من تلعات بلد النجوم ، لبنـــان ، وذلك في صيف ١٩٥١م ، وكنا ننعم باستجلاء ، اجمـل صور الماضي ، الاجتماعية والادبية . وفي يوم من ايام هذه النـدوة ـ ونحن نتناشد المختار من شعره ـ اذا بالشيخ يضع بين يدي ديوانا من شعره . ولا أشذ ، اذا قلت انـي وجدته ، المختار مـن المختار !

وليس للاستاذ الازري ، ديوان واحد ، ولكن هـــذا المجموع الحبيب اليه من شعره ، لـــم يبهرني ذلـــك الديوان ، بديباجته المشرقة ، ولا ، لانـه مجموعة صور ، رسمتها ريشة خلاق ، بل لاني وجدت وعـــاء انيقـا في قرارته ، روح الشاعر الشاعر ، وفي جنباته قلبه المشبع، وعاطفته الملتهبة ، فما اروع ، وما اسمى !! تصوير بارع بديع ، وتعبير جميل خلاب ! انه لم يكن بستان طرائف ، ولا غلة لحقل من الابداع ، ولا صندوق تحف ، او موسم ورد ، كلا ، انه ارفع من التحف والمواسم ، واينع مـــن الحقول والبساتين ، انه احاسيس ، عاشت زمنا في قلب الشاعر ، ونبضت في نبضه ثم تنزت صاعدة الى شفتيه ، وهكذا يصعد الكلم الطيب ، عالم جميل ، وامتداده فـي الجمال لا يعرف الحد » ..

هذا ما قاله الشرقي عـــن شعر الديوان ، فأيـن الديوان يا آل الازري (١) ؟!

من شعرائنا المنسيين : قلنا ان الاستاذ عبد اللـــه الجبوري كان له فضل السبق في الكتابة عن هذا الشاعر الكبير في كتابه « من شعرائنا المنسيين » . ولقد اثبت له احدى عشرة قصيدة عناوينها هـــي : « ١ ـ السينما ، ٢ ـ رثاء يوسف رجيب ، ٣ ـ وطـــن الرشيـد ، ٤ ـ حسبي يراعي ، ٥ ـ رثاء سعد زغلول، ٦ ـ المولد النبوي ٧ ـ أنا في سورة مـــن الاحلام ، ٨ ـ المـــرأة في الشرق (السفور والحجاب) ، ٩ ـ مظاهـر ود كلهـن مصائد ، ١٠ ـ ليس يجدي من الضعيف الكلام ، ١١ ـ الانانيـــة (اقصوصة شعرية) » .

ولما كنا نريد افادة القاريء فاننا آثرنا ان لا نثبت في بحثنا هذا ، أيا من هذه القصائد ، بل سنثبت ما عثرنـا عليه في الصحف العراقية ، من غير تلك ، اعماما للفائدة . هذا ولما كنا في الوقت نفسه لا نريد ان نأخذ مجالا اوسع من صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة ، فقـــد اكتفينـا باثبات القصائد الآتي بيانها ، وهـي في مجموعهـا تمثـل الشاعر في شتى المواقف والمناسبات وفي ذلك الكفاية !!

١ ـ رثاء الشيخ الشيرازي

والشيرازي ، هو المغفور له العلامة محمد تقي ، الزعيم الروحي للثورة

---

١ ـ كنت قد رأيت منذ بضع سنوات نسخة من مخطوطة هـــذا الديوان عند الاخ الدكتور يوسف عز الدين ولا ادري مـــا الذي حلَّ بها الان ؟!

العراقية التي اندلعت نيرانها يوم (٣٠ حزيران ١٩٢٠) وحين توفي في شهر ذي الحجة من سنة ١٣٣٨ هـ الموافق لشهر آب من سنة ١٩٢٠ ، رثاه الشاعر قائلا :

منعاك عز على العراق الدامي   وأمضه يا خادم الاسلام
كادت تفنده المسامع خشية   من عبئه ، بفوادح الالام
حتى اذا حق المصاب استسلمت   ليد الكوارث أيما استسلام
اقدس بيوم قمت فيه مدافعا   عن حقه المغصوب خير قيام
قد كان اشرف موقف لك بعدما   لم يبق الا منطق الصمصام
اذ جئت من (فتوى الجهاد) بصدمة   ذهبت بغطرسة (العميد السامي) (٢)
ثار الفرات بأهله وتحفزوا   طوعا لامرك وهو امر امام
عرفوا مقامك بينهم فاستقبلوا   فتواك بالاجلال والاعظام

وقال فيها :

يا جامع الضدين في اعماله   عجز الضعيف وقدرة الضرغام
اغمضت عينك والمخاطر لم تزل   والعين عبرى والقلوب دوام
والشعب في وجل يهدده القضا   بزحام جيش للخطوب لهام
ولسوء طالعه تسرعت الردى   بنواك وهو بحاجة لدعام
في ذمة التاريخ ما اصلحته   والقوم بين قطيعة وخصام
عادوا وكان الفضل منك عليهم   يتصافحون على رضى ووئام

وقال فيها :

اتعبت بعدك من اراد زعا   مة الدين الحنيف ومنصب الاحكام
خضعت لك الدنيا وانت بمعزل   ولامرك انقادت بغير زمام
فصددت عنها عالما بشؤونها   علم الطبيب كوامن الاسقام
قد كان عز الدين فيك كعزه   في آل بيت المصطفى الاعلام
فلئن حجبت فذكر ما اسديته   باق مدى الاجيال والاعوام

٢ ـ في المدرسة الحسينية

القى الشاعر هذه القصيدة في حفلة توزيع الجوائز على الطلاب المتفوقين من المدرسة الحسينية في بغداد مساء يوم ١٣ ـ ٤ ـ ١٩٢٨ .

شقاء في شبابي والمشيب   أما لي بالسعادة من نصيب
تعودت الكآبة في حياتي   فصرت اسر من شكوى الكئيب
ومن شجني فزعت الى القوافي   كما فزع المريض الى الطبيب
أحاول ان اخفف بعض كربي   وان لم اشك من ثقل الكروب

وقال فيها :

ألا فابكي معي يا ورق شعبا   تشتت شمله دون الشعوب
أعان بنفسه البلوى عليه   وأوثق في يديه عرى الخطوب
نبت فيه الحواضر والبوادي   وضاق به الفسيح من السهوب

وقال :

أينمو في الحياة نبات أرض   تعاني غلة اليوم العصيب
وقد نزلت على حكم الليالي   وباتت وهي خائرة الكعوب
فدونك يا مطامع خير مرعى   فانت اليوم في واد خصيب
مستمرة اليك به جياد   موطدة الظهور الى الركوب

٣ ـ الطافية

احدث هذا الدهر ترى   لك مرة وعليك اخرى
سهم غدرت به سواك   رماك فيه الدهر غدرا
ما أنت غير فريسة   للطيش مذ الفاك غرا
ورآك لست من الألى   قتلوا حياة الناس خبرا
اخطات في طلب العلى   ليس العلى طيشا وكبرا

---

٢ ـ يشير الشاعر (بفتوى الجهاد) الى فتوى الشيرازي الشهيرة التي افتى بها في محاربة الانكليز ، فاستجاب لها ثوار العراق كما هو معلوم !

والعميد السامي ، هو المندوب السامي البريطاني !

ونهجت غير طريقه   والشيء لا يأتيك قسرا

أغراك من أمنوا العقاب   وان تراخى الامر اغرى
جو العراق مساعد   أن يجعل الكروان نسرا
فوضى اذن ، لم لا تطير ؟   فليس غيرك منك أحرى
انا بواد لم يضق   بمهازل الايام صدرا
قد كان قبلك مسرحا   لعب الغواة عليه دهرا

وقال فيها :

هذا العراق وكان في   زمن من الازمان بحرا
سنن الوراثة كونت   في طبعه مدا وجزرا
متقلب كرياحه   ما بين آونة واخرى
متحول كالرمل لا   تدع الرياح له مقرا
كالشوك يسرع في اللهيب   فان خبا لم يبق جمرا
لا عمق قط بمائه   ولو ان في مجراه هدرا
فيه كل غاية   لا تستطيع لهن حصرا

٤ ـ الفجر الصادق

حتام يحدو الليل في   ركب لشقوته مسوق
والى متى يقتاده   قود النخاسة للرقيق
يا ليل كنت ولم تزل   مأوى لقطاع الطريق
اولاك ما عدت الذئا   ب تعيث في الوادي السحيق
والركب ينظر حائرا   نظر المرقع للخروق
حملته ما لا يطيق   وقلت للظلماء سوقي
يا ليل قد اوقفته   في مأزق حرج دقيق
لا عاد يمكنه الرجوع ولا يطيق على اللحوق
لا نجم يرشده الطريق ولا سحاب بذي بريق
خطر الذئاب وراءه   وامامه خطر المضيق
لم يبق من أمل لديه   وكان منه على وثوق
وطغت على أحلامه   لجج من اليأس العميق
يا ليل لست بسرمد   باق على طول الطريق
الفجر خلفك رابض   يرعاك من بين الشقوق
مهلا فان قوافل الايام   موقرة الوسوق
يحملن في طياتها   ما ليس ترتق من فتوق

ثم قال :

بينما اعض اناملي   واغص من يأسي بريقي
وتركت راحلتي تفتش في التراب على عليق
اذ لاح لي بين السحاب الجون خيط من بريق
فنظرته وكأنه   كف تلوح من مشوق
خفق الفؤاد لومضه   فعجبت من هذا الخفوق
ناجيت نفسي ما الذي استشعرت من خيط دقيق
قالت ارى من خلفه   فجرا سيؤذن بالشروق

ثم قال :

يا دمعة ذرفت على   شعب بحمأته غريق
يا نفثة ملئت أسى   من صدر مأسور ربيق
يا انة دلت على   خطرات قلب مستفيق
يا بارقا كان غيرسنا   تصاعد من حريق
قد شب بين جوانح   كابدن آلام الحروق
غيرت راي في غد   وجنحت للامل الوثيق
وعلمت ان لا بد من   فرج سيأتي بعد ضيق

٥ ـ يغني الامين

القى الشاعر هذه القصيدة في الحفلة التابينية التي اقيمت في بغد

في ذكرى اربعين الزعيم الوطني المرحوم جعفر ابو التمن حيث قال :

ثم قال فيها :

تحولت بعدك الارياف والمدن ... مآتما والمعزي فيهما الوطن
أقامها خبر الناعي واقعدها ... حتى تصاعد من آفاقها الشجن
يا أصلب الناس عوداً، كل عاجمه ... منه كما قد نبا عن بريه السنن
لئن أبى الموت الا ان تلين له ... فاليأس في جنبه سيان والجبن
وافاك والليل قد غارت كواكبه ... كأنما قد عراها مثلك السنن
ليت الدجى غال صبحا قد نعيت به ... ولا انجلت عن محيا افقه الدجن

أبا (عزيز) وللاقدار حكمتها ... يفنى الامين ويبقى الكاذب الافن
لو كان للموت عقل لافتداك بمن ... أعمالهم دفنتهم قبل ما دفنوا

ثم قال فيها :

يا راحلا وله في كل جانحة ... قبر مدى الدهر في ايدي البلى أمن
ان غسلوك فما في طهرك اختلفوا ... لكنما قد قضت في غسلك السنن
وطالما امتحنتك النائبات فما ... باليت بالسيف يوم الروع يمتحن
لذا تأخرت في (هنجام) (٣) منفردا ... وكان ينجيك منها مقول مرن

وختم قصيدته هذه قائلا :

مرثية لي ، ليت الغيب يبلغها ... أحبة لديار الخلد قد ضعنوا
قد غادروا الوطن الغالي وما علموا ... بانه عاد وردا ماؤه الاسن
مضوا الى ربهم بيضا صحائفهم ... خلوا من الاثم لم يعلق بهم درن
ما كان همهم الا كرامتهم ... وكل شي سواها ما له ثمن
ما كان احوجنا في النائبات لكم ... فليتكم قد بقيتم والجناة فنوا

٦ ـ الطائشة

ذكرت صبا لها كان وفيا ... فجفته ، فنأى عنها قصيا
ثم عادت بعد ان مات الهوى ... تتمنى لو يعود الميت حيا
سألت عنه الدجى آملة ... انه في أمره كان حفيا
يا ترى ما صنع الدهر به ... ليته لو يرجع اليوم اليا
أوما تدري به ؟ قال : بلى ... كان لا يبرح مألوما شكيا
ثم لم أسمع كما عودني ... أنة منه ولا صوتا شجيا
ولعل الحب قد أودى به ... ولعل الضعف أخفاه عليا
وأدارت طرفها نحو السما ... بانكسار عنه تستوحي الثريا
فأجابتها ، أجل كنت أرى ... جفنه المقروح بالدمع سخيا
برح الحب به ثم سلا ... فاسأليه ، تعرفي السر الخفيا

وانثنت نحو الصبا تسأله ... هل به مرت صباحا او عشيا
فدنت من سمعها هامسة ... ان ذاك القلب قد عاد خليا
لم يدع طيشك من ذاك الهوى ... جذوة فيه ولا زندا وريا
كان يحوي لك حبا طاهرا ... ووداداً كندى الورد نقيا
ولقد شاهدته أمس ضحى ... يتهادى مرحا طلق المحيا
واذا ما لاح ماضيك له ... فر حتى كاد منه يتقيا
فبكت شجوا وعضت يدها ... ندما لم يغن عما فات شيا
ثم قالت ذا جزائي بعدما ... قد أضعت الحب من بين يديا
أنا ضحيت بنفسي وبه ... حينما صيرني الحظ بغيا

٧ ـ زوجوها

... أم بلاهة في ابيك ... ضيعت رشده فطوح فيك

لست ادري كيف ارتضاك لمات ... عابث كل ليلة بفتاة

٣ ـ هي الجزيرة التي نفاه اليها الانكليز مع غيره من احرار العراق بعد خمود ثورة العراق الوطنية سنة ١٩٢٠ .

قد تراءى له بزي ثقاة ... رب ذئب يبدو بصورة شاة
وابن آوى مقلد صوت ديك
زوجوها شيخا بدون رضاها ... وأباحوا اليه قتل صباها
فنعاها شبابها وبكاها ... وانجلى يوم عرسها عن عزاها
بين عزف التهليل والتبريك
فوضت أمرها الى الله سرا ... واستكانت الى الضنا فيه جهرا
ومذ استسلمت الى القتل صبرا ... حفر الشيخ للقتيلة قبرا
بين اضلاع جسمه المنهوك
سائلي الليل كم به من سرير ... لف جذعا بغصن بان نضير
سائليه ويا له من خبير ... أنعوش قد كللت بزهور
أم نطوع الى ضحايا النوك
سمحوا للنفوس ان تتصبى ... تسترق الحسان لهوا ولعبا
ومذ استيقنوا الشريعة تأبى ... أن يتم الزواج قسرا وغصبا
قتلوها وباسمها قتلوك
ولعوا في تعدد الازواج ... ولع الذئب بافتراس النعاج
واللذات ما لها من سياج ... أطلقتهم من قيد كل زواج
واستخفوا بآية (العدل) فيك

٨ ـ الغوطة

زار الشاعر دمشق في سنة ١٩٤٤ ، واستمتع بمفاني غوطتها الجميلة، فنظم نتيجة تلك الزيارة هذه القصيدة :

ذكرت الجنان وانهارها ... غداة تنسمت معطارها
مفان رأيت بهن الحياة ... تكاد تضاحك أحجارها
كخط المجرة لكن من ... حسان الخرائد أقمارها
أراد الاله لحور الجنان ... مقالا على الارض فاختارها
حرائر، عيناء، سحرن العيون ... كسحر الكواكب سمارها
هبطن عليها كسرب الحمام ... اتخذن المغاني أوكارها
كأن الخمائل من فوقها ... نثرن على الارض ازهارها

نسيم اذا نشقته الرياض ... شفاها وجدد أعمارها
يسرق فيسكرني نشوة ... ويقوى فيسكر أشجارها
فما زال ينعش روحي بها ... وما زلت أشكر خمارها
الى ان رجعت سليب الفؤاد ... وودعت الدار زوارها

وقال فيها :

رأيت الجمال كنبع يفور ... وأحلى الينابيع فوارها
بواد يعد من المعجزات ... ومن ذا يحاول انكارها
يموج كالموج أشجاره ... متى ترسل الريح اعصارها
اذا ما تموجن خلت البيوت سفينا تصارع تيارها
منازل غطت عليها الرياض ... فغابت واخفين انوارها
تباركت يا رب في حسنها ... وباركت يا رب اثمارها

وداعا مليكة تلك الربوع ... سقتك السحائب مدرارها
تركتك والنفس لم تقض من ... اطايب واديك أوطارها
وما كنت ضيعت معنى الحياة ... لو اني قد عشت مشوارها
دمشق وهل كان الا بنوك ... اذا عدت العرب احرارها
وهل كان قبلك من علمت ... صعود المشانق أبرارها
رمتهم (فروق) بسفاحها ... ليأخذ في قتلهم ثارها
هنيئا لك اليوم في دولة ... تمتع بالدار ديارها

٩ ـ العيش ختل والحياة تملق !

... القى الشاعر هذه القصيدة في الحفلة التأبينية الكبرى التي اقيمت لتأبين المرحوم جميل صدقي الزهاوي في مساء يوم ١٢ ـ ٣ ـ ١٩٣٧ حيث قال :

مراكب الجياع

الى م سنوغل في كـل درب   وتهـرب منـا جميع الدروب
ويرتد ـ بعد اكتمال المسير ـ   النداء صدىقد عراه الشحوب
ونمعن في السير ، نهدر عمرا   ونخلق عمرا ، ونغزو الغيوب
ترانـا سنبلـغ مـا نشتهي   وترسو السفينة قبل الغروب

ونهرب مـن عالـم المترفين   وتسقطنا شهـوة الانتمـاء
ويرفضنـا عالـم الكادحين   كمـا الطفل يلفظ كـل ريـاء
أولئك يا جيل مـا أنت منهم   وما كنت تعرف فـي هؤلاء
تـراك أتيت بـدون جـذور   من الزيف مـن رحم الافتراء

وتمخر هـادرة فـي العبـاب   مراكب جيل براهـا الضيـاع
وتوغل باحثة عـن رؤاهـا   فان الرحيـل متـاع مشاع
وما لـذة الوصل مـا يبتغون   ولكنهـا شهـوة للصراع
فما دام بين الجوانح جـوع   الى المستحيل سيمضي الجياع

دمشق   سلافة العامري

عيش ترصده المنايـا ضيـق   ومنى تضيء على الحياة وتفسق
ونهى يعلـل والحقيقة دونـه   محجوبـة أنوارهـا لا تشرق
يرجو النجاة غريقه مـن لجـة   ما كان غير النعش فيهـا زورق
حلـم تحاوله العقول وليتهـا   تقوى وليت الحلم يومـا يصدق

ضرب الغموض على الحياة حجابه   فارفـق بنفسك أيهـا المتعمـق
قصرت خطاك عن الوصول ولم تزل   تدنو فتبعـد او تعـوم فتغـرق
مشت العصور على غرار واحـد   نفس بها تحيـا واخرى تزهـق
والارض تثمـر والمنيـة تجتنـي   والليـل يجمع والنهـار يفـرق
والدهر كالبحر الخضم يفيض في   رمم الذين مضوا ويجرف من بقوا

مالي وللماضي فحسبي شاغـلا   أرق يساورني وهـم يقلـق
ولكل نفس في الحيـاة عناؤهـا   فاذا مضيت مضى العناء المرهـق
جبلت على الشجن النفوس فطالما   عيني ـ وثغري ضاحك ـ تفرورق
كم رحت في الوادي افتش عن روى   للنفس فيـه ومـاؤه يترقـرق
واجلت طرفي فـي جوانب افقـه   علـي أرى فيـه سنى يتالـق
ورجعت نحو الذكريات بخاطـري   فاذا بهـن سحائب لا تغـدق

اجميل والدنيـا كرؤيـا حالـم   والمرء فـي أحلامهـا مستطـرق
لك في الحياة اليوم اصدق خبرة   صفها وانت كما عهدتـك مغلـق
وارسل على متن الرياح قصائـدا   فـي طيها ارج الحقيقة يعبـق
فلقد وقفت على الحقائق وانجلى   لك مـن خفاياها الادق الاعمق
وظفرت بالخبر اليقين فلم يعـد   شك بـه أو شبهـة تتطـرق
وفزعت من شكوى الزمان واهلـه   وسلا فؤادك مـا بـه متعلـق
وشفيت بعـد الموت من الم الفنا   وامنت بعـد اليـوم ممـن يحنق
أجميل كم لك من مواقف حـرة   أيام يحجـم باللهـاة المنطـق
زمن شعور الحـر فيه جريمـة   والعيش ختـل والحيـاة تملـق

تملي وتثبت كل مـا يوحي بـه   قلب لتحطيم السلاسل شيـق
والليل داج والعيـون هواجـع   ما كان فيـه سوى الكواكب تأرق
طلق اللسان بهـا وغيرك صامت   لا تتقـي والحكـم قاس مطلـق
فكانما لـك مـن يراعك عـدة   لكفاحـه ومـن القوافي فيلـق
حتى وقاك اللـه منـه فانطـوى   أبدا وظل لـواء شعرك يخفـق
للشعر عشت وكان فيك سجيـة   كالمـاء حين يخر او يتدفـق
او كالهزار على الغصون مغـرد   مـن طبعـه او كالعقاب محلـق
حتى اذا شاء السكوت لك القضا   ولكـل حـي ساعـة لا ترفـق
طرقتك في الليل البهيم كعاشق   ولهان ينتظـر الظـلام فيطـرق
ودنت تعاطيـك المنيـة كأسهـا   عـلا وانت لشربهـا مستوسـق
فخبت من الآداب بعـدك جذوة   من قبل غص بهـا الظـلام الاورق

أجميل لا تاسف على دنيـا بهـا   خسر اللبيب وفاز فيها الاخـرق
صفحاتها ماجـت بكـل مماذق   أمـا الاديب بهـا فسطـر ملحـق
أدب بسابقـه كبـا فاعاقـه   جريـا وكان يظنـه لا يسبـق
لو كانت الاشجار تعقـل شدوه   لغدت بأطراف الغصون تصفـق
بعثت بذكـراك الجوانـح نفثـة   منها غشاء الصدر كـاد يمـزق
نم في جـوار اللـه نومـة آمـن   فالله فيك أبـر منـك واشفـق

وبعد : فهذا هو الشاعر العراقي الحاجعبد الحسين الازري . وتلك هي نماذج من شعره ، وهـي كمـا نعلـم غيض من فيض ، آثرنا ان نثبتها على صفحات « الاديب» الزاهرة ، ليقف منها ، القاريء ، على مـا كان لـه فـي الشعر العربي في العراق ، مـن صفحات حرية بالتقدير والاعجاب .

بغـداد   عبد الرزاق الهلالي



نسيم نصر

شموع متجولة

بقلم نسيم نصر

***

— ايمان الانسان بخالقه ايمان قلب ثم ايمان عقل ، اما ايمان الانسان بوطنه فايمان عقل ثم ايمان قلب .

— الخيال سفينتك الى المطلق : ربانها شوقك ، وفضاؤها احلامك ، وانت عليها مسافر مقيم .

— قبل ان تسأل ابنك الصغير ، « لماذا كذب » ؟ سل نفسك ، « لماذا كذبت عليه ؟ »

— الايمان بحقيقة الحياة فعل وجود ينكر المستحيل، لذلك كان محققو المعجزات مصادر ايمان .

— القبلة اصدق تعبير عن اعمق الحب او الاحترام، واخدع تمويه لادهى الرياء او الحقد .

— الاستبداد ظاهره قوة وباطنه ضعف ، والمستبد منتحر باستبداده عاجلا او آجلا .

— قلت لليبنوع : « مالك دائم العطاء ؟ » فأجاب : « خوفا من ان يغيض مائي ! »

— سألت بخيلا : « لماذا لا تأكل الحلوى ؟ » فأجاب: « خوفا من مرارة الانفاق »

— الشجاعة تحلي مرارة الالم بلذة خلود البطولة ، والجبن يمر حلاوة اللذة بألم ذهابها .

— ما اشد حاجتنا الى الاتعاظ ، في حماية من نحب ، بحكاية الدب الذي رمى ذبابة ، حطت على انف سيده فيما هو نائم ، بحجر كبير ، افلتت منه الذبابة وسحق الراس الذي اراد حمايته .

— اذا كان الجرح يحتاج الى ضماد يحميه ويخفيه ليشفى ، فصنع الخير يحتاج الى كتمان ليبقى خيرا .

— الحياة معركة تنازع بقاء مستمرة ، والخالدون فيها هم اصحاب الوجود المستمر في عظمة آثارهم .

— قال الرجل في المراة : « الحرة تموت جوعا ولا تأكل بثدييها ! » ، وقالت المراة في الرجل : « الحر يموت جوعا ولا يأكل بجبهة معفرة ! » فأي القولين اشمل لمعاني الانسان ؟

— تبدو الحقيقة عارية ، لانها لا تتزيا ولا تتزين بما تخرجه مصانع الانسان الذي طلق الوجدان .

— المؤاساة فعل محبة صامتة تحوله المنة المثرثرة الى شماتة صارخة .

— الصداقة فعل ايمان بالصدق والمروءة يقل اصفياؤها بنسبة ما تزداد حاجة الانسان الى المنافقة في اصطياد الفرص .

— يبقى الصبر ، في كل ازمات الانسان ، صفة من صفات الشجاعة ، ولو نسبيا ، الا اذا كان صبرا على ذل السؤال .

— ابشع العاهات ترهل البطال ، واحلى اللآلىء نقطة العرق على جبهة العامل .

— اليأس مهواة سحيقة القعر لا يقع فيها غير من زلت به قدم الايمان بالنفس .

— عندما ضاقت آفاق الانسان الروحية ركب الفضاء فاتحا منفتحا ، وعاد من فتحه ، وغار النصر عالق برجليه فزاده الانتصار ضيقا ... !!

— قالوا : « اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب » ، يبقى هذا القول حكمة قاعدة شرط الا يكون السكوت عن شهادة حق والكلام في هداية ضال .

— وقالوا : « القناعة كنز لا يفنى » ، صحيح هذا القول ، ولكن قبل ان اصبح الانسان آلة تعمل ، والآلة انسانا يفكر ، والحياة مادة تتجاذبها الآلتان .

— وقالوا ، يوم ان حاولت الانسانية ان تحمي نظامها بقوى الروح : « الحق قوة » واليوم امسى العكس اقرب الى الصواب ، بعد ان استبدت قوى المادة بمعاني الانسانية ، فقالوا : « القوة حق » ، فكشرت شريعة الغاب عن انيابها .

— عناد الباطل مهواة ، وعناد الحق مرقاة ، والحياة بينهما حرب دائمة .

— قدر الاعمار في ما تحمله الى بيادر الحياة من الاغمار .

— من قرأ في كل كتاب اخرجته المطابع ولم يقرأ في كتاب الحياة ، فهو ما يزال اميا .

ـ العقم الحقيقي هو محل النفس بمواسم العزة الوطنية والكرامة الانسانية .

ـ الالم الذي يسببه النهوض برسالة الحق ولادة جديدة ولو ادى الى الموت .

ـ عار التاريخ الاكبر دينونة الابرياء .

ـ رب امراة لجمت نظراتها ضباعا في ثياب رجال !

ـ بين الانسان وحقيقته قنطرة عالية لا تعبرها غير النفوس الكبيرة الجريئة .

ـ اعمدة الهياكل الكبيرة قامت قواعدها على دماء العبيد ، اما اعمدة الاوطان العزيزة فتقوم قواعدها على دماء الاحرار .

ـ « رأس الحكمة مخافة الله » ، ومخافة الله احترام القيم التي اودعها الله نفس الانسان .

ـ يستطيع طاغية حاكم ان يبني قصرا من جماجم الاحرار ، ولكنه لن يأوي اليه ليلة هادىء البال .

ـ ابعد المسافات التي يجتازها الانسان الى مجاهل الغربة ، هي المسافة القائمة بين حلمه وغضبه .

ـ لو لم تكن سماء الخلود لكونتها ارواح الشهداء .

ـ الحياة عطاء والموت اخذ ، والخوف الاكبر ان تكون ايامك على الارض اخذا دون عطاء .

ـ كراسي الحكم كمرابىء النسور لا يليق بها الا من جاءها من فوق .

ـ مسكين الجندي الذي يكتفي بشارات جدارته من صنع الصاغة والخياطين !

ـ ما وقفت مرة امام المرآة الا رأيتها اكذب الكاذبين ، لانها لا تريني غير ظاهري .

ـ عطاء الايمان كبير صامت وعطاء الاعلان هزيل صارخ .

ـ اخطر ما يزينه لك الباطل ان الناس ينظرون بعينيك .

ـ المال الذي تخاف عليه من الغير يجب ان تخاف على نفسك منه .

ـ مهما كبر الانسان العاقل : عمرا ومنزلة ، فانه لا يكبر على ان يبقى تلميذا على الحياة .

ـ الانانية تجمع بين العبادة والكفر ، فالاناني وثني من خلال عبادته صنم انسانه .

ـ ستظل السعادة بابا مغلقا في وجهك الى ان تجد مفتاحه في ابتسامة الآخرين .

ـ ليست العزلة في لجوئك الى صمت الطبيعة حيث تتصل بحقائق الوجود ، وانما العزلة في ارتمائك في ضجيج المدينة حيث يغمرك زيف الوجود .

ـ تطور الحياة سلم ترقى عليها الى فوق كما تنزل عليها الى تحت ، فانظر الى وضع سلمك .

ـ ليست هويتك الحقيقية بطاقة في جيبك او في يدك ، وانما هي وجهك الآخر يتراءى لك عندما تخلو الى ذاتك .

ـ ترفعك عن منازلة السفه والباطل انتصار يعيبه عليك من لا يقوى على مثله .

ـ الدمعة من معدن الجوهر لا ترخص الا في سوق الاستجداء والاسترحام .

ـ صيانة الوطن في حماية حدوده من اعداء الخارج، وصيانة الوطنية في الاحتماء بحدودها من اعداء الداخل.

ـ اذا خانتك العزيمة امام تضحية واردت ان تستقوي فقل : امي !

ـ الخيال سفينتك الى المطلق : ربانها شوقك ، وفضاؤها احلامك ، وانت عليها مسافر مقيم .

نسيم نصر

خماسيات شعرية

يا رفيق الدرب خذها حكمة
من فم الدهر وضعها في ضميرك
آفة النعمة ان ترفسها
مد رجليك على قدر حصيرك
دعة العيش سراب كاذب
فاتعظ واحسب حسابا لمصيرك
كم غني كنت ترجو رفده
صار يرضى بقليل من كثيرك
انما الدنيا سعير وندى
فتزود من نداها لسعيرك

نجني يا رب من اهلي ومن
اصدقائي ، ودع الاعداء لي
انا في الضراء ميت فاذا
جاءت السراء احييت املي
يمتلي بيتي سناء وسنا
هلك البيت الذي لا يمتلي
لو تراءى الفقر انسانا لما
مات الا في زوايا منزلي
اعشق العيش ، ولكن عملا
قاتل الله رغيف الكسل

بوانس ايرس ـ الارجنتين زكي قنصل

الشاعرة هدى أديب

بقلم عبد الله صالح

تمتاز الشاعرة هدى اديب بموهبة فنية تجلت عندها منـذ نعومة اظفارها ، عنيت بها في الموسيقى . فما ان بلغت السابعة من عمرها حتى كانت تجيد العزف على البيانو اجادة دلت على موهبتها الموسيقية الاصيلة . وقد تتلمذت على الموسيقي الروسي تشاسكينوف .

ابصرت النور في بيروت آخر عام ١٩٤٣ ، وتلقت مبادىء العلم في مدرسة راهبات الفرنسيسكان ثم تابعت دروسها في معهد اللابيك فمدرسة البنات الاميركية في بيروت، ثم التحقت بالمعهد الوطني للموسيقى ونالت منه الشهادة في العزف على البيانو السنة ١٩٦٩ . وعقب تخرجها راحت تعلم فن الموسيقى في مدرسة راهبات الراعي الصالح في الدكوانة ، ثم في المعهد الذي تخرجت فيه ، وعملت عازفة على البيانو في المدرسة اللبنانيةلرقص « الباليه » . وعينت عام ١٩٧٢ استاذةللموسيقى في المدارس الرسمية .

وتجلت عندها موهبة اخرى تضاهي موهبتها الفنية لا بل تتممها، وهي موهبة الشعر . فقد نظمته في الثالثة عشرة من عمرها لتعبر به ـ كما قالت ـ عما يجول في نفسها من مشاعر وخواطر واحاسيس بدلا من ان تعبر عنها بالتاليف الموسيقي. ولا بدع في ذلك لانها نشأت وترعرعت في جو مشبع بروح الشعر والفن .

والشاعرة هدى اديب تجيد العربية والفرنسية والانكليزية . وقد اصدرت ديوانين بالفرنسية الاول بعنوان « جملة معترضة » Parenthèse السنة ١٩٦٨ . والثاني بعنوان « وقفة قلقة » Demi Pause السنة ١٩٧٠ . ثم اصدرت باللغة العربية ديوانين ايضا ، احدهما بعنوان : « ثلاثة مكعبات » ، العام ١٩٧١ ، والاخر بعنوان « الشارع ، المدينة ، الرقم» العام ١٩٧٢ . وهي تعنى الان باعداد ديوان جديد بالفرنسية ، وتنوي ان تعهد بطبعه الى احدى دور النشر في باريس .





هـدى اديب

ويلاحظ من يطالع دواوينها ان شعرها ، سواء في الفرنسية او في العربية ، طليق من الوزن والقافية ومتسم بالسوريالية والرمزية الى حد كبير . وقد اخترت من نظمها العربي هذين المقطعين :

الناس والضجر

الناس يتقاتلون من الضجر
لا يفكر منهم احد
ان لم يضجروا
بالحب اجتمعوا ،
بالحب اختلفوا
الناس يتقاتلون دائما
من الضجر
لو لم يكن الضجر
لاهتدت فيهم الذاكرة

ساكون ضجرك

لن اتذكرك يوما في ادمع
الادمع للنسيان
سابتسم لتكرار النسيان
ارسلت اليك قطرات مطر
هوى الخوف من السماء
اجنحة ترفرف ولم تطر
انت من وراء القمر
تسأل عن الليل
ضجيج تشوق لاذني
اني سعادتي ، اني فرحي
احبك
ساكون ضجرك .

اما من نظمها الفرنسي فقد عربت هذه القصائد بشيء من التصرف :

النهار والليل

النهار يأتي بغير رسالة
والليل يمضي بلا بشاره
النهار يقبل على وجهي
والليل يتقدم نحو الشاطىء
النهار يخون الضجر
والليل ينزع عنه النسيان

كم علة

من على سرير المستشفى : العملية الثامنة والعشرون

تباركت ربـي مولي النعـم — لجعلـك ايـاي رمـز الالـم
ولـدت شقيا وامضي شقيـا — فشكـرا لربـي هـذا الكـرم
وان العـذاب دواء النفـوس — وان الشقـاء فتـار الهمـم
وانـي أيـوب هـذا الزمـان — دريئـة كـل مصـاب عمـم
ففي كل عـام جراحة عضو — من الجسم هـد قواه السقم
على أنني رغم هـذا البـلاء — صبور على الخطب اما ألـم
فـلا اتشكـى لغيـر الاهـي — ولست انـال زمانـي بـذم
وأمـلأ جـو الفضاء غنـاء — بمـدح الاه جزيـل النعـم
فكـم علـة عذبتنـي طويـلا — شفانـي منهـا طبيب علـم
مشاريطه مـن ضياء الخلـود — عليهـا حنـان الالـه جثـم
فكم خلصت من سقيم عليـل — باناتـه كـم انـار الظلـم
وان الحيـاة علـى ما بهـا — تطيب برغـم عوادي الامـم

لاباز ــ بوليفيا — جورج الكعدي

النهار ينتهي محطما بالعناء
والليل الحالك لا يخدع نفسه
النهار يثير الامواج
والليل يهدىء سطح البحر
النهار يجمع الذكريات
والليل يشتتها على سبحته
النهار يعلن كل ما لدي لاقوله لك
والليل يبعثره شذر مذر
والنهار يبعث فينا الحيرة والانفعال
والليل يهبنا السكينة وراحة البال

حيـاة غريبة

ايتها السماء القاتمة
آكلة الابتهاج
الناخرة في الافكار
ادور علـى عقبي
غاضبة من الريح
دون ان ادري
اذا كان الوقت
وقتا للضحك
أم وقتا للبكاء
يا لك من حياة غريبة
لا شاطىء لها
حيث نجذف
طـي الضباب

ايهـا الشاعر

صباح الخير ايها الشاعر
انك تتمم حلمي
انت رقم لا نهاية له
وجميل كشيء منيع
سأحبك حبا عظيما
بغير نـدم
انـي اغرق
في اضغاث حلـم
يتجدد ابـدا
سابهرك حتى تنقش ذاتي
فـي ذاكرتـك
وتجعلني اعيش
فـي منامـك

حديث الحب

هل من ضوء بلا ظل
اود ان اكون الظل في حياتك
اتبعك الى كل مكان
اطرد عنك الضجر
واهبـك الفـرح
لا تضحك بدونـي
اذا استطاع الحب
ان يجعلنا نضحك غالبا
حدثني عن ذاتك
لتملأ فراغ حياتي
حدثنـي لتسكتني
عندما اتحدث عن المطر
او عن العمل والضجر
فيما اريد ان اتحدث
عـن الحـب .

عبد الله صالح

ــ ترى اين هذا الشارع ؟
لحظات غيبوبة نسجها ارهاق السير .. او اغفاءة ممطوطة حملتها رجلان يابستان تقعقع عظامهما ...
والغريب ان اليدين في اشد حالات النشاط ...

ــ يغلب على الظن ان الشارع هنا .. غير بعيد .. امنية وصف الطريق تقرع نفسي . تقول لي ذلك ..

ولا تفتأ اليدان تتطوحان ــ نشاطا باديا ــ في نصف دائرة ، بانسجام عجيب مع خطو الرجلين المهدمتين .. يتكور عليهما كمان منتفخان بالهواء ، حول جلباب فضفاض ...
وتتعثر في الرجلين طفلة ممصوصة .. ليس بين قامتها وقامة الرجل فارق كبير .. وفوق القامة عمامة معتجرة ملتوية كثعبان ارقط من القذر العالق بها ..

ــ اجل . يا بنتي . اعلم انك دائخة . ربما لا تتقيأين لان جوفك خاو . لكنك طلبت ان تصحبيني . انا .. الرجل .. قد تهشمت رجلاي . مع ذلك .. فقد اوشك الشارع ..

الصبية صامتة ، لا تسمع اباها ابدا .. ربما لا تسمع عواء بطنها ايضا .. عصابتها الحمراء فوق رأسها تدور في كل اتجاه .. ترام صاخب .. سيارات تنهب الشارع العريض .. الناس كالنمل .. لم تر شيئا من هذا في حياتها .. قد سمعت كثيرا ــ حقا ــ في القرية عن شيء كهذا وقبل ان تأتي حديثا منذ يومين .. لكن .. هذا كله لا يسمع على البعد .. ضجيج .. ضجيج.. ينغرس تحت العصابة الحمراء حتى لا يفوتها شيء ..

ــ بنتي رقية . لا بد من سؤال احد الناس عن الشارع . صحيح انا خائف من السؤال . انا لا اعرف احدا . هذه الاصداء غريبة عني . لكني سأقوى على السؤال .. هذا الافندي .. هذا البيه .. يا بيه ..
دلني على شارع بوالينو .. قريبي من الصعيد يعمل هنا فرانا في مخبز ..
نظر اليه البيه .. عينان ذابلتان يطمسهما الضنى .. قامة تلكأت عن النمو .. وجه شديد السمرة .. مثقل بما فيه .. ثم طفلة هزيلة بعصابة حمراء « لا بأس يابيه . قد اخترتك . لست خائفا منك كثيرا . لكنك تنظر نحوي طويلا » ..

ــ يا .. انت من الصعيد ؟ لن يجديك الشرح لتصل الى الشارع . تعال معي ..

ــ بارك الله فيك ..
« ظلمت البيه . لم اتنبه لنظراته الشاردة .. ربما كان يفكر في خير



بقلم علي المغربي

وسيلة تصل بي الى الشارع » ..
اسكندرية كالبحر.. الان يختلط بها الشعور بالحيرة والغربة .. كل طريق فيها اصبح طويلا جدا .. لا تجدي نصيحة الكلام ابدا عن مدينة غريبة لم يطأها المرء من قبل.

ــ ما قصتك يا ضيفنا ؟ لغتك عرفتني انك من ابناء الصعيد ..

ــ حقا لي قصة ..
« هذا البيت . يبدو عليه الطيبة .. قد تلاشى الخوف مني نهائيا » .
« كيف علم ان لي قصة . آه . قد نظر الى وجهي طويلا » ..



ــ انا من سوهاج .. بلدي العرابة المدفونة.. العرابة ــ يا بيه ــ ثلاثون بلدا .. قصتي تبدأ بتغيير الاقامة في بطاقتي العائلية ..

ــ تريد ان تعود او ترجع ..؟

ــ ارجع .. منذ اسبوعين قمت بكتابة ابراق .. وذهبت الى قسم الشرطة ، والسجل المدني . انفقت ايضا سبعة جنيهات .. الله يعلم كيف جئت بها .. بل الله يعلم كيف يمكنني الحصول عليها بعد ذلك .. وحتى الآن .. لم تأت الاوراق ..

ــ انا لم افهم شيئا ..

ــ انا ايضا لم افهم شيئا . لقد سافرت الى بلدي . وعدت ولم افهم شيئا ..

ــ انت مخطىء حينما اتيت بابنتك ..

ــ تعلقت برقبتي . كانت اولى بكل مليم ينفق . في الاسبوع الماضي حضر الينا ضابط من الجيش واخبرنا باستشهاد اخي واعطانا شهادة الوفاة ونفقات المأتم ..

ــ اعزيك في اخيك ..

ــ كل شيء يجر بعضه بعضا . انا الآن يملؤني الالم من كل جانب..

ــ على اخيك ؟

ــ انا فخور به . لكنه ترك لي بنتين صغيرتين مثل هذه ..

ــ لماذا لم تذكر ذلك للمسؤولين عن تغيير الاقامة ببطاقتك ..؟

ــ اسمع يا بيه . أتذكر الآن قصة معركة مع عائلة اخرى في بلدنا .. هذه العائلة قتلت ابن عمي فقمنا جميعا بالثأر ، ورأيت اخي هذا يندفع نحو افراد العائلة الاخرى بعصا غليظة يهوي بها فوق الرؤوس حتى تهشمت العصا .. وعاد فرحا يغني .. أتريد ان اذكر لهم ان اخي مات في الحرب ؟ مات وهو يذبح يهوديا ؟ مات وهو لا يريد شيئا من أحد ؟

الضجيج يزداد ، والصراخ يدوي كالرعود .. كأن كل شيء في الشارع تسري فيه نيران الصخب ولكن المرح

أين بيتي ؟

نفثة على رأس الستين من العمر

اين بيتي فما أراني كالناس لبيت ملكته قد أويت
مثل ذي الغربة الشريد لقد ر حت على الارض حائرا واغتديت
عطش الناس وارتووا غير اني لم أجدني وقد عطشت ارتويت
أبدا ما انتهيت من كربة الا لأخرى أشد منها انتهيت
أحتسي أكؤس اضطهاد مرير ضل عن من يعدها ما احتسيت
ويح دهر أصمه الله لا ينفع فيه لحى اذا ما لحيت

ايه يا صبيتي الصغار اعتذارا لكم انني عليكم جنيت
أنتم الثروة التي لا يدانيها الغنى كله لو اني اغتنيت
غير أني لو تعلمون أخو فقر فمنه يوم الغراز اغتذيت
ليس عندي لكم اذا انطفأ المصباح واشتدت الدجنة زيت
أين تأوون يوم تأوي الأناسي وما ان لكم ببغداد بيت
من عساه يجيركم من ضياع في ضلال الحياة اذ أنا ميت
أم تراكم تنوون بعدي صوم الدهر من جوعكم كما قد نويت
ليس عدلا أن لا تروا غير ما كنت من العدم والطوى قد رأيت
أنا والله لو علمت حمى لي ولكم من متاهة لاحتميت
ولو اني حكيت من لؤم دهري كل شيء لهالكم ما حكيت
حطمتني أقداره فاذا بي وكأني من شاهق قد هويت
ما دريت السر الذي جعل النحس مدى العمر قسمتي ، ما دريت
لج بي الشؤم غير أني من قبلكم ما عهدتني قد شكيت
طالما قد هزأت من أسهم الايام ـ قد ريش ريشها ـ وازدريت
ان يكن آدم غوى اذ عصى الله فاني لم أعصه وغويت

غرني أن أؤوب خلب برق شمته عاشيا وكنت نايت
خاب فالي في كل ما قد رمت قوسي كاني لم أرم اما رميت
ليتني ما وعيت شيئا من العلم فأزرى بحالتي ما وعيت
ان حقا يضيع لو كنت أبكيه قليل في حقه ما بكيت

بغداد ـ جامع الخلفاء — الشيخ جلال الحنفي

يعلو الوجوه .. وزعيق الباعة يملأ الاسماع بالغناء ..

والطفلة الصغيرة الهزيلة لا يفوتها شيء واحد .. وانحبس الكلام مدة ..

ـ يا اخي . بنتك لا تقوى على السير . ولكنها تحب ان ترى كل شيء . تريد ان تعيش مع كل هؤلاء الناس . يجب ان ترعاها .. ولا تنسى الاخرتين .. بنتي اخيك . ها هو شارع بوالينو مع السلامة..

وانحرف الرجل القميء في الشارع كما لو كانت ريحا تقذف به في داخله ، بينما كانت بنته الممصوصة تكاد تتعلق به وعيناها لا تفارقان الشارع العريض ذي الترام الصاخب .

الاسكندرية — علي المغربي



الحكاية الخرافية

نشأتها ، مناهج دراستها ، فنيتها – تأليف فردريش فون دير لاين – ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم استاذة الادب الشعبي في جامعة عين شمس – مراجعة الدكتور عز الدين اسماعيل استاذ الادب العربي في جامعة القاهرة – ٢٦١ صفحة – منشورات دار القلم ببيروت – نيسان ١٩٧٣

الكتاب مهم في بابه ، ويطلعنا على ميدان من ميادين اهتمام الباحث الغربي ، ويلفت نظرنا الى بذل مثل عنايته في حكاياتنا . ولا شك في ان الاستاذة قد بذلت جهدا كبيرا في نقله الى العربية ، ولقد احسنت الاختيار ، ولم يذهب جهدها هباء .

ومع هذا ، فقد يعثر القارىء بأمور يود ان يسجلها ، حرصاً على الكمال وتجنبا لما يثبت الخطأ فيه لدى الترجمات الاخرى ، او لدى اعادة الطبع .

وكان من هذه الملاحظات :

١ – في المراجعة : المؤلف الماني وكتابه باللغة الالمانية ، وعن هذه اللغة ترجمته الدكتورة نبيلة ابراهيم ... فما معنى المراجعة في هذه الحالة ؟ انها تعني قراءة النص العربي المترجم ومقابلته بالنص الالماني خشية ان يكون قد فات المترجمة شيء ، او انها تلكأت في شيء . وهذا التقليد من حيث هو سليم جدا ، ولكن الذي يحدث كثيرا انه لا يراعى لما وجد له . ويبدو ان في الكتاب الذي نحن بصدده حالة من هذه الحالات ، فالاستاذ الدكتور عز الدين اسماعيل لا يعرف الالمانية ، فكيف اذا يتسنى له ان يوفي حق كلمة « مراجعة » في كتاب منقول عن الالمانية ؟ وزاد في الامر ان الاستاذة المترجمة لم تحدثنا في مقدمتها عن معنى « المراجعة » في كتابها هذا .

٢ – في اللغة العربية : ص ١٣ ، افسحنا = فسحنا . ص ٢٧، أدمجها = دمجها . ص ٤٠ نميل لان = نميل الى ان . ص ١٦٣ ظل جلجامش اثنتا عشرة ساعة = اثنتي . ص ١٨١ ، استبدل بتيجان بنات المارد طاقيات اخوته = استبدل تيجان بنات المارد بطاقيات اخوته . ص ١٨١ ، اغتابت . غير واضحة . ص ٢٠٥ ونحن نفاجىء على التو في الحكايات الصينية بعدد من الموضوعات الهندية = ونحن نفاجأ . ص ٢٠٦ فرجون ... الفراجين . غير واضحة . ص ٢١٨ ، الصرفة : الصرف . ص ٢١٩ فالحكايات التي ظهرت في الروايات المتأخرة لالف ليلة وليلة تتفق مع صور شلل الناس الذين كانوا ينشدون التسلية في مقاهي القاهرة = ... جماعة ... لان كلمة شلل من العامية المصرية . ص ٢١٣ ، ونشاط اصحاب الحرف والخبازين والجزارين والاسكافية والخياطين والسماكين وعمال السفن والشيالين= الاسكافيين ، اما الشيالين فهي من العامية ، والمستعمل في الف ليلة وليلة : الحمالين .

٣ – فيما له علاقة بالادب الفرنسي : ورد اسم شارل بيرو Charles Perrault صحيحا (ص ٢٠ ، ٢٥) ولكن بيرو وردت خطأ ص ٤٢ ، ٥٧ ، ٢٢٦ فقد رسم على : بيروه ، ووردت شارل بيرو خطأ ص ٢٥، فقد رسم على : شارلز بيروه .

وبين حكايات بيرو حكاية عنوانها Le Petit Chaperon rouge وترجمتها ... ذات القبعة الحمراء ، ولكن الاستاذة المترجمة نقلتها الى العربية بانها « ذات الرداء الاحمر » (ص ٢٠ ، ٢٥) .

وبين حكاياته La Barle Blue وترجمتها « اللحية الزرقاء » او « ذو اللحية الزرقاء » ولكن الترجمة جعلتها ص ٢٥ ، ٢٥٠ « ... ذي الذقن الزرقاء » . والذقن بمعنى اللحية من العامية المصرية .

وترد في الكتاب اعلام فرنسية لا ترسمها المترجمة كما هي ، من ذلك الباحث Bédier اي بديه . و Gaston Paris اي كاستون (= جاستون) باري . و Kabelais اي رابله . ولكن هذه الاعلام الثلاثة ترد في الكتاب على : بيديه ص ٣٩ ، ٤٩ وجستون باريس ص ٥٠ ، رابيليه ص ٢٣٢ .

وهناك علم لباحث واحد ورد ص ٥٧ سنتييف Saintyves ولكنه ورد ص ٦٨ « سانت ييف » .

ووردت حكاية Tristan et yseult ص ٧٨ : تريستان وايزولدة . ولا يوجد الدال في الاصل ، وربما اهمل اللام والتاء لدى اللفظ ، والحكاية مترجمة الى العربية بعنوان تريستان وايزلت .

٤ – أعلام بالالمانية : Friedrich ترسمها المترجمة فردريش ، ولكنها رسمتها ص ٤٩ فردريك .

الشاعر المفكر الالماني Herder ورد على هيردر ص ٢٢ ، ٢٤ ، وعلى هردر ص ٢٣ ، ٢٤ .

ترد الاخوان جرم مرارا ، وكان مناسبا ان يكتب ازاء الرسم العربي – ولو مرة واحدة – الرسم الاجنبي Grimm ليعرف القارىء اللفظ الصحيح لل G . واذ وردت الاخوان جرم ص ٢٦ وردت معها شارحة – « يعقوب ووليم » ثم في ص ٢٧ : « وقد قام يعقوب ووليم » فلم هذا النقل الى يعقوب كما لو كان اسما عربيا منذ الاصل . واذا نقلنا Jacob الى يعقوب فلم لم ننقل فردريش الى فردريك .. علما ان اسم Jacob هذا في اصله مركب من اسمين فهو Louis — Jacob اما وليم فهو في الاصل ما اعتدنا نقله الى العربية باسم غليوم لانه Guillaum . اما وليم فاننا اعتدنا ان ننقله على الانكليزية . هذا الى ان غليوم جرم في اصله مركب من اسمين Guillaum Charles

ورد عنوان لحكاية واحدة رسم بالالمانية وبالعربية على اكثر من صورة ، هو حكاية Machandel Boom في كلمتين ص ٢٤ ، Machandel Boom في كلمة واحدة ص ٤١ ، ٢٤٧ . وورد رسمها العربي مخاند لبوم ص ٢٤ ، مخانل بوم ص ٢٧ ، ماخندل بوم ص ٢١، ٢٤٧ ، ماخاندل بوم ص ٧٧ .

ووردت ص ٤١ حكاية Brunhild : « برون هيلد » ولا موجب للفصل ، وهي في اصلها واحدة .

وهناك عنوان كتاب جرم ورد ترجمته الى العربية مرة : « الاطفال وحكايات البيوت » ص ٣٤ ، ٤٥ ، ٧٢ . ومرة « حكايات الاطفال والبيوت » ص ١٩ ، ٢٦ .

ومن المدن الالمانية Weimar ولفظها فايمار ولكنها وردت في متن ص ٢١ وذيلها : فيمر .

٥ – اعلام اخرى : ص ١٩: «مجموعة دي كاميرون Decamerone بوكاشيو Boccasio » . الفصل في « دي كاميرون » غير وارد لانها في الاصل كلمة واحدة : دكامرون او ديكاميرون . وصحيح بوكاشيو Boccaccio

ورد اسم النبي محمد في ص ١٤٢ فزادت عليه المترجمة (ص)

بمعنى صلى الله عليه وسلم ، وورد في ص ٢٢١ فلم تزد عليه الصلاة.. علما انها لم تكن من الاستعمال الالماني .

وعلى ص ٥١ Thith Thompson ولا اعرف عنه شيئا ، ولكنه رسم على الصفحة نفسها هكذا : « ست تومسون » . واشك في صحة هذا الرسم .

٦ ـ الحواشي : تضع المترجمة احيانا حواشي نافعة تشرح فيها او تعرف . ولكن حدث ان جاء في المتن ص ٨٥ : الملحمة الهندية القديمة « ماهابهاراتا » وجاء في الحاشية المهابهاراتا .

وحين وردت على ص ١٦١ « ملحمة جلجامش البابلية » قالت في الحاشية : « انظر مقالة « الملحمة البابلية جلجامش » للمترجمة في مجلة « المجلة » مايو سنة ١٩٦٢ » . وذلك حقها والاحالة نافعة ، ولكنها لم تحل في مجموع الكتاب على عمل « عربي » آخر غير مقالتها هذه ، مع وجود عدد نافع من هذه الاعمال في البحث او الترجمة . وامر ما صدر عن « الف ليلة وليلة » معروف ... ولكننا اذ نتحدث عن ملحمة جلجامش نذكر ـ على سبيل المثال ـ ان هذه الملحمة قد نقلت الى العربية في العراق ، وقد قام بالنقل عالم آثاري معروف هو الاستاذ طه باقر ، وقد صدرت هذه الترجمة عن وزارة الاعلام مرتين كانت الطبعة الاولى سنة ١٩٦٢ والثانية ١٩٧١ .

ومما يذكر ان انجيدو الذي ورد في ترجمة « الحكاية الخرافية » هكذا ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ورد على « انكيدو » في ترجمة الاستاذ طه باقر . و « اوتابستي » الذي جاء على ص ١٦٣ ، ١٦٥ ورد في ترجمة الملحمة على « اتو ـ بنشتم » .

٧ ـ مبدأ في الترجمة : اننا عندما ننقل نصا من لغة اجنبية ، ولتكن ـ هنا ـ الالمانية الى اللغة العربية ، وكان في النص الاجنبي اعلام او عنوانات كتب واسماء مصادر او اخبار وشواهد اصلها عربي او نقلها النص الاجنبي عن النص العربي ... فيحسن (اي يجب) في هذه الحالة ان نرجع الى الاصل العربي ونثبت الترجمة كما وردت في الاصل ، فلا نترجم النص من الالمانية الى العربية ترجمة جديدة ، ولا ننقل عنوان الكتاب او اسم القصة في ترجمة جديدة ... والملاحظ ان الاستاذة المترجمة لم تراع هذه القاعدة ...

فقد جاء على ص ٢١٥ : « وفي حوالي القرن الثامن ترجم الى العربية في بغداد كتاب حكايات هندية وفارسية ويحمل عنوان « كتاب الالف ليلة » ثم نمت هذه المجموعة في بغداد مرة اخرى متخذة من الحكايات الهندية والفارسية مادة لها ... » .

ولم يكن الكتاب المترجم الذي يشير اليه المؤلف يحمل عنوان « كتاب الالف ليلة » لان المسعودي يحدثنا انه « هزار افسانه » وتفسير ذلك بالفارسية : الف خرافة . واسم الخرافة بالفارسية « افسانه » وزاد ان « الناس يسمون هذا الكتاب « الف ليلة » ـ وليلاحظ ان كلمة « كتاب » ليست جزءا من العنوان لتحصر بين الاقواس التي تحصر العنوان » .

وقال ابن النديم : « ... اول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار افسانه ومعناه خرافة ... » .

اذا كان مؤلف كتاب « الحكاية الخرافية » بالالمانية سمى الكتاب « كتاب الف ليلة » ولم تشأ المترجمة ان ترجعه الى « هزار افسانه » فمن المستحسن الاشارة الى ذلك في الحاشية .

وجاء على ص ٢١٧ : « ومن المحتمل ان يكون في قصة الفروسية الطويلة التي تحكى عن عمر بن النعمان اثار من عصر الحروب الصليبية » .

وفي « الف ليلة وليلة » عمر النعمان وليس عمر بن النعمان ، والحكاية ايضا ابن عمر النعمان .

وجاء على ص ٢١٧ : « ان الراهب الشحاذ الذي تحول الى صورة قرد (ويرد ذلك في حكاية الشيال ونسوة بغداد الثلاث) والذي اشتهر بخطه الجميل ... » .

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dic : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

والنص العربي في « الف ليلة وليلة » لا يقول « حكاية الشيال » وانما يقول : « حكاية الحمال » ... وتتردد كلمة الحمال في الحكاية .

ثم اننا نقرأ هذه الحكاية كلها فلم نر اثرا لراهب شحاذ فضلا عن ان يكون هذا الراهب تحول الى صورة قرد ...

وجاء على ص ٢٢٣ : « حكاية الحلاق الثرثار واخوته السبعة » . وترجع الى كتاب « الف ليلة وليلة » فنجد بـديل الحلاق : المزين . ثم ان اخوته ستة هو سابعهم .

بغداد ـ كلية الآداب — علي جواد الطاهر

•

الاتجاهات الفنية
في الشعر الفلسطيني المعاصر

تأليف الدكتور كامل السوافيري ـ ٤٣٢ صفحة قطع كبير ـ الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة

حين اخرج الدكتور كامل السوافيري في سنة ١٩٦٤ كتابه الاول : « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » قلنا ان هذا الوفاء لفلسطين لا بد ان يتبعه وفاء آخر ، لان مجال الحديث والتأليف عن هذا الوطن السليب لا ينفد ، ولا توصد دونه الابواب . ثم علمنا بعد ذلك ان الدكتور السوافيري مشغول باعداد رسالة للدكتوراه عن « الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر » .

ومرت الايام ، ونحن نسأل الدكتور كامل كلما نلقاه عن موعد مناقشة الرسالة ، الى ان اذن الله ونوقشت ، وظفر صديقنا بالاجازة من كلية دار العلوم ، ثم اذن الله لها ان تطبع وتصدر في هذا الكتاب الذي نتحدث عنه اليوم .

وهكذا التقى في هذا الكتاب الوفاء لمحنة فلسطين ومأساتها بالوفاء لفلسطين الشاعرة ، وقد جعل المؤلف تاريخ الحقبة التي يدرسها من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩٦٠ ، وهي حقبة تزيد قليلا على قرن كامل.

ويضم الكتاب بابين كبيرين ، يشتمل اولهما على الشعر الفلسطيني المعاصر منذ التاريخ الذي اتخذه المؤلف بداية له ، وهو عام ١٨٥٠ . وقد كان للشعر حظ الابتداء في هذا التاريخ ، قبل ان تنشأ القصة والمسرحية والمقالة وما اليها من فنون القول . وقسم المؤلف هذه الحقبة الى اربع مراحل ، تبدأ اولاها من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩٠٧ ، وتبدأ الثانية من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٨ ، وتبدأ الثالثة من سنة ١٩٢٦ الى سنة ١٩٤٧ ، وتبدأ الرابعة من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٦٠ وهي التاريخ الذي حدده المؤلف لينتهي البحث عنده . ولعلك تلاحظ ايها القارىء الكريم ان الفترة ما بين عامي ١٩١٩ الى ١٩٢٥ ساقطة ، ولكن المؤلف جعلها فترة انتقال لانها مهدت للنهضة ، وهي الفترة التي ظهر فيها الشاعران : اسكندر الخوري البيتجالي ، وابراهيم الدباغ .

ولم يشأ المؤلف ان يدع مرحلة الانتقال تمر دون ان يعقد فصلا لاسباب النهضة ، وقد جعل منها التعليم ، والاتصال بالتيارات الفكرية الحديثة ، والمطابع ودور النشر ، والصحف والمجلات والاذاعة، والاندية الادبية والجمعيات الثقافية . ولم يدع سببا من هذه الاسباب الا وقف عنده ، وعالجه معالجة تاريخية ، وتتبع تطوره ، بل اخذ يميل الى الرصد والاحصاء ، فخص عددا من المطابع ودور النشر بالذكر ، وذكر طائفة من اهم الصحف والمجلات التي صدرت في ذلك العهد ، وكان لها دورها في مؤازرة النهضة ومساندتها ، « كالنفائس العصرية » التي صدرت في مدينة حيفا سنة ١٨٠٨ ، و « الاصمعي » التي صدرت في القدس سنة ١٩٠٩ ، و « الدستور » التي صدرت في القدس ايضا سنة ١٩١٠ وكان يحررها الاستاذ خليل السكاكيني ، و « فلسطين » التي صدرت في يافا سنة ١٩١١ باشراف الاستاذ عيسى العيسى ، و « الدفاع » التي انشأها ابراهيم الشنطي في يافا سنة ١٩٣٤ وغيرها .

اما الباب الثاني من الكتاب فيشتمل على الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، وهو لب هذه الدراسة وجوهرها . ويضم الحديث عن الاتجاه الاتباعي « الكلاسيكي » والاتجاه الابتداعي « الرومانتيكية » والاتجاه الرمزي « الرمزية » والاتجاه الواقعي « الواقعية » .

وفي كل اتجاه من هذه الاتجاهات الاربعة يحدثنا المؤلف عن ظهوره في الادب الغربي ، واسباب ظهوره وسماته وملامحه ، وتأثيره في الادب العربي عامة والادب الفلسطيني خاصة ، وابرز الشعراء الفلسطينيين الذين تأثروا به ، مع التعقيب بذكر نماذج تتضح منها الاتجاه ، والتثنية بدراستها وتحليلها ونقدها .

اما النماذج فقد احسن المؤلف اختيارها ، ووفق في انتقائها لتكون ادل على حقيقة الصورة المتكاملة للاتجاه الفني نفسه ، ولتكون ـ في الوقت نفسه ـ اكثر صدقا وانطباقا على الواقع . فلم يؤثر جيدا على رديء ، ولم ينف زؤانا عن قمح ، ولكنه جمع بين الحسن والقبيح، والشريف والوضيع ، والعالي والهابط .

واما النقد فكان نزيها منصفا بعيدا عن الغرض ، بعيدا عن التعصب لفلان على فلان . وهذه الحيدة المطلقة التي التزم بها المؤلف تجعل من الكتاب معرضا صادقا للحكم المنصف السليم . وقد كنا نلاحظ انه يشتد مثلا على شاعر مثل المغفور له اسكندر الخوري البيتجالي لسوء رأيه في شعره ولغته وصياغته ، ثم لا يلبث ان ينصفه بعد ذلك ، ويلتمس له الاعذار ، امعانا في النصفة والعدالة في الحكم من ناحية ، ودرءا لشبهة الاتهام بالتجني والتحامل من ناحية اخرى . فبعد ان اشبعه نقدا ، وكشف عن كثير من معايب الشعر عنده عاد بعد

صفحات لينصفه بانه كان اول شاعر فلسطيني طرق الموضوعات الاجتماعية في شعره ، وانه كان اول من لجأ الى الاسلوب القصصي في الشعر الفلسطيني ، وانه كان يستهدف اشرف الغايات ، وانبل الاهداف الخلقية في شعره ، مما جعله رائدا في الشعر التهذيبي التعليمي ، وانه كانت لديه محاولات للتجديد في الشكل . والحق ان هذا الانصاف قد لفت نظرنا عند المؤلف على مدار الكتاب كله .

وكما كانت عين المؤلف تقع على الرديء من الشعر فتكشفه وتميط عنه اللثام ، فانها كانت تقع على الجيد فتبرزه ، وتعرضه في اجمل معارضه . ففي قصيدة « الحبشي الذبيح » لابراهيم طوقان يقف عند بعض الالفاظ الملائمة المعبرة عن صورة الديك الذبيح ، كما يقف عند بعض الصور البديعة التي صور بها الشاعر الديك الذبيح وهو يتدفق بدمائه ، ويتعاق بدمائه ، ثم :

يعدو ، فيجذبه العياء فيرتمي ويكاد يظفر بالحياة فتهرب

وما اكثر ما اطال المؤلف الوقوف عند امثال هذه الصور والمعاني فيما قدمه من نماذج الشعر وبمناسبة الحديث عن هذه النماذج ، فانا كنا نود لو ان المؤلف الفاضل اكثر من ايرادها ، واطال منها ، وخاصة في الشعر الابتداعي الذي لم ياخذ حظه من التمثيل والاستشهاد . ولعل صديقنا المؤلف خشي ان يتسع عليه الباب ، فلا يستطيع ان يغلقه ...

لقد صادفتنا في هذا الكتاب الجيد نماذج جيدة لشعراء من فلسطين نعزهم ونعتز بهم من امثال ابراهيم طوقان ، وفدوى ، وابي سلمى ، وعبد الرحيم محمود ، ومحمد العدناني ، وحسن البحيري ، وهارون هاشم رشيد ، وعلي هاشم رشيد ، وكمال ناصر وغيرهم . وقد انتقل منهم الى رحاب الله من انتقل ، ونرجو ان نسمع من الباقين اناشيد النصر ، والحان العزة في افراح قريبة آتية لهذا الوطن الجريح ...

القاهرة محمد عبد الغني حسن

•

شراع بلا مرسى

سلافة العامري ـ ١١٢ صفحة ـ نشر : الدار المتحدة للتوزيع ببيروت

مجموعة من الاحلام الرومنسية البسيطة ، لا تصل الى درجة التعقيد ، ولا يهوم بها جموح الخيال .. احلام ولكن فوق الارض ، وقتامة ولكنها لا تصل الى كثافة الظلام الدامس ، وقلق ولكنه لا يصل بصاحبته الى القنوط . فيظل فؤادها مرتجفا معذبا يتنازعه اليأس والرجاء ، والكبرياء واللين ، والاقدام الى درجة المغامرة ، والاحجام الى درجة النفور والاباء .

هكذا يبدو لنا الديوان الصغير ، مجموعة من الالوان المتنوعة الباهتة المتداخلة ، تلفها غلالة شفافة مضيئة هي غلالة الحب .. الحب المعطاء الصافي المتدفق من قلب معذب يكاد الشك يستولي عليه فلا يطمئن الى محبوب .

وهكذا شاءت الشاعرة سلافة العامري لشراعها الذي تعبث به الرياح فلا يستطيع الاطمئنان الى شاطىء :

انا ما رسوت على شاطىء شراعا يهيم وقلبا طعين

اول ما يقلق الشاعرة انها تشك في من تحب فلا تثق بالالفاظ ولا تطمئن الى التنهدات والآهات :

قولوا لذاك المدعي خفف من الفلواء
ما الهمس ؟ ما الآهات؟ ما بالزيف سر هنائي

واذا كانت الطبيعة الانسانية مجبولة على الغدر فهل يعني هذا ان الشاعرة ستنصرف عن الحب متشائمة قانطة ، متقوقعة على ذاتها ؟ انها برقة احساسها وسمو مشاعرها تستطيع ان تعلو على الواقع وترفع عن المادة :

الحب كون وحده فيه معين غنائي
دعني .. سئمت سماع صوتك عابثا برجائي

واذا كان الناس قد جبلوا على الغدر فهل يعني ذلك انها ستتنكر للحب ؟ كلا انها ستحب حبا ساميا صافيا نقيا ، وليس من الضروري ان يتشبث حبها هذا بصورة مادية :

فانا احب وانما اسمو عن الدهماء

الحب والكبرياء اذا يصطرعان في نفس الشاعرة ، وليس النصر للكبرياء دائما لان حبها قد يذيب كل شيء يعترض سبيله فاذا بها تنادي :

أحب غروري ، أحب هواني أحب الركون الى مقلتيك
احب انسكاب كلامك همسا يغل الحنايا فتجثو لديك
انا ان رعيت غروري زمانا فها قد رعاني حنين مرير

انه القلق الذي يؤدي الى مثل هذا التناقض ، تارة نراها تتمرد على الآهات والتنهدات وتارة تذوب في الآهات والتنهدات ، وتعدو وراء من تحب حتى لا تجد شيئا يعترض سبيلها :

اني احبك ، لا أبالي لائما ما كنت في حبيك خدن رقيق

أصحيح انها لا تخشى في حبه لوم اللائمين ، أصحيح انها تعيش

طليقة من القيود الاجتماعية ، تضع قدمها حيث يأمرها قلبها ، هـذا يناقض قولها :

ولكن برغم حقوقي بحبـك ... أخشى الملام ومن قـد رعاه
واخشى شعورا يلـم بقلبي ... يعذب حبـي ويوهـي عـراه

في كل مقطوعة من مقطوعات الديوان نحس بحـرارة العاطفة .. نسمع ونحن نقرأ ، موسيقا هادئة رخية دافئـة تنساب في حنايانا ، نحس بانفاس قلب تيمه الوجد ، ولا ترهبنا عاصفة صاخبة تأخذ علينا انفاسنا — كما نرى عند الشعراء الرومنسيين .

لم تهرب سلافة من الواقع بل بحثت عن الاستقرار فيه ، وحين لم تستطع ظلت تدف قريبة من الارض ، قريبة من الناس . لم تلجأ الى الغابة ولم تصعد الى النجوم :

امـا آن للـدرب ان ينتهي ... وآن لاشرعتـي ان تلـين

ومع ذلك فان الشاعرة ، في بعض لحظات النفور من الواقع سعت نحو المطلق وبحثت عن المجهول :

هلم الـى غيهب سرمـد ... الـى وحشة الازل الابعـد
نلملم رؤانا ونمح خطانـا ... ونحتـم فـي صمتـه المجهـد

ولكنها لم تسع وحدها ولم تذهب منفردة ، لقد وضعت يدها فـي يد من تحب واستحثت الخطى ليسير واياها نحو الابد السرمدي والمنى المطلـق .

وسيرها هذا يذكرنا بمسير جبران الى الطبيعة الصامتـة ومسير القروي ونعيمة الى الغاب ، ومسير الشابي الى المطلق والمجهول — وان كان هناك فرق بعيد بين سلافة بنقرها الطفيف على المشاعر ، وبـين اولئك الذين يهزون المشاعر هزا عنيفا حتى تستيقظ النفوس الجامدة ، وتبعث الاحاسيس النائمة .

دمشق ... سكينة الشهابي

•

نـواح المزرعة

مقدمة الجزء الثالث « نواح المزرعة » مـن ديوان الدكتور سليمان داود

ان اعجب ما يثير التفكير من المشاهد ، مشهد الشمس وهـي تتململ عند المغيب بين الوسائد الرمادية في الافق لتلقي آخر ابتسامة على الكون قبل ان تتوارى عن الانظار في اعماق الليل البهيم . واروع ما يكـون الخريف وهو يتعرى من ثيابه الموشاة الفضفاضة وقـد هجرته طيوره المغردة ، ورياحينه الباسمة ، وظلاله الوارفة ، تاركة وراءها كآبـة الخمائل ونواح الجداول والسواقي .

هما حدثان ازليان اثارا الاضطراب والخوف في نفس انسان الغاب منذ اقدم العصور اذ راى فيهما رمزا للشيخوخة والموت ، لكنه وجـد في شروق الشمس بعد الغياب ، وفي قدوم الربيع المخضل الجميل في اثر الخريف والشتاء القاحل ، اعجوبة البعث والبقاء ، فآمن بخلـود الروح . ولعله استنتج بقبس من ذهنه الضئيل ، ان النفس المدركـة العاقلة هي الحياة نفسها ، وان الحياة لا تفنى .

غير ان فقد الانسان احباءه ارهقه منـذ غابر الازمنة بذكريات الفواجع والمآسي ، ومن هذه الذكريات الاليمـة انبثقت « اعترافات » المفكرين ومراثي الشعراء المعبرة عـن انسحاق القلب وشجونـه ، كاعترافات القديس اوغسطينوس التـي اثارت اعجاب علماء النفس المعاصرين ، وكنفثات جليلة تغلب في اخيهـا ، وطاغـور في زوجته ، وعائشة تيمور في ابنتها . ومن النفثات الخالـدات بخلود العاطفة الصادقة ، نفثات الشاعر الكبير الدكتور سليمان داود في رفيقة حياته. وقبل ان ابدأ بعرض عواطف الشاعر المقلقة بالحرقة والكآبة والدموع من ديوانه « نواح المزرعة » اود ان اورد آراء بعض اعاظم رجال الفلسفة والعلم في هذا الموضوع الكوني البعيد القرار .

لقد اختلفت آراء المفكرين والعلماء على مرور الاجيال في حقيقـة الحياة والموت والخلود . فكانوا ما بين روحـي المذهب مؤمن ، ومادي النزعة ملحد . وقد هدف الماديون منهم الى الكشف عن « علة الحياة الاولى » بالتحليل النظري المادي طورا ، وبالبحث العلمي تارة ، الـى ان القى العلم سلاحه اخيرا معلنا فشله في اختراق المنظور الـى الغير المنظور .

ومن جبابرة الفكر الذين لم يروا فـي الحيـاة سوى الشقاء والتعاسة ، شوبنهور الفيلسوف الالماني ، فقد وجد في التعاليم البوذية صورة مماثلة لما في نفسه وفي بيئته من التشاؤم والتطير يقول : « الموت هو الفرصة التي انقطع فيها عن ان اكون « انا » ، وهي الحالة الوحيدة التي تضمحل الشخصية فيها ، فيرتاح الانسان مـن مآسي الحياة وشقائها » .

اما العالم العظيم هكسلي ، وقد حاول ان يوفق ما بين العلـم والدين ، فقامت عليه قيامة العلماء في عصره ، اشار مرة الى « انـه يفضل الاقامة في جهنم اذا لم يكن العذاب فيها شديدا على الاعتقـاد باضمحلال شخصيته بعد الموت » .

وقد رد افلاطون قديما على الفلاسفة الماديين المعاصرين القائلين : « كل ما في الكون مركب من ذرات اولية دقيقة من المادة ، وهذه الذرات لا تقبل « الانحلال » بقوله : « ان في اعماق هذه المادة المنحلة العابـرة المتغيرة كنها اوليا ثابتا ، غير مادي ، مسببا هذا التغيير ، وهو فـي اعتقاده عقل او روح » . وقد وافقه اناكزاغوراس في رأيـه منوها : « ان لا شيء يتغير في الكون من تلقاء ذاته ، انما سبب له ان يتغير ، والذي يحدث هذا التغيير وهو « الحقيقة الازلية » ، وهـي عقل او ادراك كوني » .

وفي كتابه القيم « الكيمياء للمبتدئين » يعرض العالم المشهـور الدكتور هورد كارنغتن ما اظهر العلم فيما مضى وفي هذا العصر مـن الاكتشافات التي رفعت مستوى المدنية الى ما هي عليه الآن . وفـي الوقت نفسه يشير الى ما استعصى على العلم مـن الاسرار الرئيسية الجوهرية الغامضة ، مثل « الاثير » فقد فرضه العلماء وسيطا لنقل ذرات النور وحاجزا حيال قوة جذب الشمس الهائلة عـلى الارض ، وقوة جذب الارض على القمر ، وعبثا حاول البحث العلمي ان يحقق وجود ما يقال له « الاثير » . واوضح ايضا ان العلمـاء توقعوا انهم بتحطيم الذرة سيكشفون عن « علة الحياة الاولى » فيحققون الحلـم الذهبي الذي رافق الانسان منذ البدء . فاذا بهم بعد تحطيمها يخيب املهم اذ عثروا على ذرات متناهية في الدقة ، تدور على محورها — هي ذرات الالكترون تدور حول البروتون ، بسرعة دوران الارض حـول الشمس ، في نظام عجيب كالنظام الشمسي ، ادهش عقول الخبـراء الباحثين ، فثبت لديهم ان المادة ليست جمادا كما كانت تبدو لهم من قبل ، بل هي مركبة من طاقات كهربائية دائمة التحول والتغير من شكل الى شكل آخر ، حتى تغدو « قوة صرفة » لا تمت بصلة الى المادة على الاطلاق .

الى ان يقول : « ان فروضا واكتشافات مثل هذه تدفعنا الـى ولوج ابواب الرياضيات ، والنظر الجدلي ، والحقائق البدائية معا ، وهنا يلتقي البحث العلمي حتما بالفرض والحـدس والتخمين . ولان علم الكيمياء يقود سائر العلوم في الوقت الحاضر ، قـد تيقنا الآن ان العالم الذي نعيش فيه هو عالم اطياف واشكال دائبة المرور ، فهـو حقيقي من وجهة عملية محدودة ، لكنه غير حقيقي مـن وجهة كونية

معنوية شاملة . فقد كان وليم جايمس علـى حق حين قال : « ان الفلسفة النظرية تفكير جلي يهدف مثابرا الى الاتصال « بالحقيقة الازلية الكائنة وراء هذه الظواهر المرئية » .

ويتابع قائلا : ان « الحقيقة الاولى » كائنة في مكان ما من هـذا الكون ، مع ذلك لا نستطيع ايجادها بالتحليلات الكيميائية ، كما اننا لا نستطيع اكتشاف العقل والروح في تشريح الجثث — حتى وفي تشريح الحيوانات الحية — لذلك نشعر بان شيئا ينفلت من ايدينا عندما نروم الكشف عن « روح الاشياء » — عن الحقيقة الازلية غير المنظورة » .

وقد ادرك هذه الحقيقة الناصعة الشاعر المبدع الدكتور سليمان داود — الطبيب الجراح الفذ المتمرس بفنون الفلسفةوالعلم والتشريح، فتمسك بنصوص الحكمة والايمان منذ فجر شبابه . وعندما فجعـه الدهر بفقد زوجته الحبيبة في شيخوختـه ، واثقلت روحه الهمـوم والاشجان ، لم يعتمد العلم والفلسفة في مصابه ، بل التواضع والايمان الوطيد ، فاتجه بالفكر والروح الى « حقيقة الحقائق الازلية » المحجبة عن الابصار — لا عن البصائر — وراء سجون المادة متوسلا اليهـا ان تجبر نفسه الوالهة المنسحقة ، وتسكب بلـسم الرجاء والعزاء علـى جراح قلبه الحزين :

خفف العبء يا أبا العيد وارفق   بضعيف نـار الاسى تكويه
وجل جـل فجاة في فؤادي   مثل سهم مـن قوسه يرميه
مرض اعجز الاساة فهـل من   مـدد مـن رب السما يشفيه
امـل فيك لـم يـزل مستقـرا   ورجـاء مـن مهجتي اسقيـه
فاغث عبدك الجريـح الهـي   غوث عيسى واهلـه يغنيـه

ثم مرت الايام والغصة لفراق رفيقة العمر تنمو وتشتد في جنبات القلب الكئيب ، ورغما عن التجلد الذي تحصن بـه الطبيب العالم ، لم تلبث عاطفة الشاعر المرهف تحس فيه حتى تلبدت بغيوم كثيفة مـن الاحزان ، ناءت نفسه تحتها ، فعاد مستنجدا بتلك القـوة الروحية الخفيفة التي يلجا اليها الشجي الملهوف :

شكرتك سابقا واعيـد شكري   لـدن ولـى على الملهوف عـام
تقلب يومـه وجفـاه ليـل   واشعل — عـود — دوحته ضرام
وجلجل في الدجى شبح النواهي   عـلى قلب ببلـواه يسـام
تغـر ظواهري صحبي واهلـي   ونور حشاي طـاح بـه الظـلام
أقل لـي عثرتي وانـل مرامـي   فغيرك لا يرجـى او يـرام

ان ايمانا راسخا يشترك فيه العقل والقلب ويدعمه العلم الصحيح والعاطفة الحقة ، كايمان شاعر « نواح المزرعة » هو نور هدي شامـل يبدد ظلمات الشك والتعصب والريب ويوثق الروابط الروحية بـين الانسان ، ويعينه على اجتياز ما يحول في طريقه مـن عقبات الرزايـا والكروب والمحن ، فيسير بطمانينة ورجاء الى آخر شوط مـن اشواط الحيـاة :

عـدت والعود يـا حبيبة احمد   جـارك اللـه والمسيـح واحمـد
لا انفصام من بعد ذا او فطـام   قد ضربنـا مع ابن مريم موعد
وهنـاك اللقـاء يعني خلـودا   وخلـود الارواح حـق مؤيـد

لكن أمل الشاعر الوطيد بلقاء رفيقة العمر في عالم الروح ، لـم يحل دون حنينه الملتهب الى عالم المادة — عالم الشعور والحب والالوان والاخيلة والافراح والاتراح — حيث يتسرب الم الحياة وبهجتها عـن طريق الحواس الى قرارة النفس الحساسة ، فينبثق شعورا شجيـا عذبا ، يقتنصه الرسام بالوانه ، والنحات بازميله ، والشاعر بقوافيه:

يعاودني ليلا خيال التـي اهـوى   فما أطيب اللقيا وما اعذب النجوى
وما اجمل الاطياف في حلك الدجى   تزحزحن عن روح مجرحة رضوى
اعيدي ايـا اخت الثريا زيارتـي   ففي ملتقى الروحين ما خففالبلوى
اهف الـى رؤيـا خيالـك انـه   منى مهجتي الاولى وغايتها القصوى
آحن الى يـوم يلملـم شملنـا   فينتظم المنشور في سلك من اهوى

ان خيال الحبيبة قد اعاد الى الشاعر الواله ذكريات الشبـاب اليانع ايام كانت رفيقة حياته ركنا متينا في بناء مستقبله الباهر بمـا تحلت به من جمال الفضيلة والنبل وسمو الاخلاق كالعطف على المنكوب ومد يد المعونة الى المعوز ومؤاساة التعيس اليائس فاستطرد قائلا :

واها لايامها مـا كان اطيبهـا   ضما وشمـا وتقبيـلا وانفاسا
كانها العرف في وسنى بنفسجة   بالطيب عبقت النسريـن والآسا
تظـل آثارها انجيل قافيتـي   وذكرها لسراة الناس نبراسـا

ان ديوان « نواح المزرعة » نصب ادبي وقفـه الشاعر الكبيـر الدكتور سليمان داود تذكارا لروح زوجته الحبيبة التي رافقته فـي جهاده واحدا وخمسين عاما . ولا غـرو اذا مـا اتشحت ابياته في هذا الديوان بالتاوهات والحسرات والانين ، فقد كانت لـه رحمها اللـه كالندى للزهرة والنور للعين ، وقد كانت مصدرا روحيا يستمد منـه الوحي والطموح فشاى في جراحة العظام التي تخصص بها شاوا بعيدا، وقد جلى في ميدان الشعر ايضا فاشتهر باصالة شعره وغزارته ومتانة سبكه وجمال ديباجته . هذا رغما عن بعده عـن اللغة العربية وعـن الناطقين بها ، عاملا على تضميد جروح الانسانية المعذبة بين الاميركيين.

ومن الغريب ان يتفوق المرء في حقلين مختلفي الهدف والتصويب كما حصل للدكتور سليمان داود . فالطب علم يدعمه العقل والمنطق ، والشعر فن قوامه القلب والعاطفة ، وليس ثم صلة معنوية بين الاثنين. ومن صميم القلب المحب الورع انبثقت عاطفته الفياضة وجرت سلسبيلا روحيا في مقاطعه وقوافيه . فهو مفخرة من مفاخر البلاد التي انبتته، كما انه مفخرة للبلاد التي اتخذها وطنا ثانيا ، اعزه الله وابقاه منارا للعلم الصحيح والشاعرية الحقة والادب الرفيع .

بنغهمتن — نيويورك   **وديع رشيد الخوري**